أنواع الصبر – ما يُهوّن المصائب – ثمرات الصبر

ح شيخة بنت محمد القاسم، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، شيخة بنت محمد

وبشر الصابرين /شيخة بنت محمد القاسم - الرياض، ١٤٤١هـ

١٠٤ص؛ ١٤×٢٠سم

ردمك: ٥-٢٧٦٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الصبر ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٢,٢ ١٤٤١/٣٦٩٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٦٩٠

ردمك: ٥-٢٧٦٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

التصميم والتنسيق والإخراج الفني والطباعة

الفالحين للطباعة والنشر - الرياض

KSA, Riyadh alfalheen@gmail.com

+966 580 44 66 88 @alfalheen1

أنواع الصبر – ما يُهوِّن المصائب – ثمرات الصبر

تأليف

شيخة بنت محمد القاسم

مُشرفة تربوية

وعضوة في تأليف المقررات الدينية سابقًا

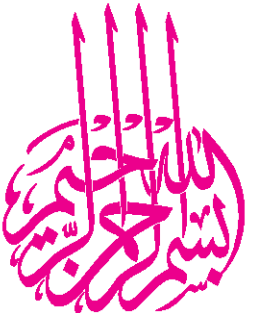
بسم الله الرحمن الرحيم

إضاءة

- قال ﷺ: «فَاصْبِروا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»[١].
- قال ابن القيّم رحمه الله: «مَنْ خَلَقَهُ اللهُ لِلجنّةِ لم تزلْ هدَايَاها تأتيهِ مِنَ المكَارِه»[٢].

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٩٢).
(٢) الفوائد، ص٥٧.

وبشر الصابرين

إهداء

إلى كُلِّ مَنْ جاهَد نفسَه ليُطيعَ ربَّه ولا يعصِيه.

إلى كُلِّ مكروبٍ ضاقتْ السُّبُلُ عَليه.

إلى كُلِّ حزينٍ يبحثُ عمَّن يواسيه.

إلى مَنْ فَقَدَ صفيًّا مِنْ ذَويهِ.

إلى كُلِّ مُصابٍ.. دونَكَ هَذا الكتاب، لعل فيه بِشاراتٌ وسلوة وَعزاء.

وبشر الصابرين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الصابرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

إنّ للصبر مرتبة عالية، ومنزلة رفيعة، فهو المعونة العظمى لكل أمر، فإنّ العبد في هذه الدار لا يستغنى عن الصبر في أي حال من أحواله؛ فهو بين أمر يجب عليه امتثاله؛ فلا بُدَّ من الصبر عليه، وبين نهي يجب عليه اجتنابه؛ فلا بُدَّ من الصبر عنه، وبين قضاء فيه ابتلاء؛ يجب الصبر عليه، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه، فالصبر لازم له إلى الممات.

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، أي: يكابد مضايق الدنيا، وشدائد الآخرة.

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدها
صفواً من الأقذاءِ والأكدارِ

وفي هذا الكتاب وقفات مع الصبر والصابرين، سيجد فيه القارئ - بإذن الله - ما يُعينُه على الصبر على طاعة الله حتى يتلذذ بها، وما يعينه على الصبر عن المعصية حتى يبغضها، وما يعينه على الوقوف مع الأقدار بحُسن الأدبِ، فإنَّ المؤمن يردُ عليه من الواردات ما يؤلمه، ويُنغِّص عليه عيشه من المصائب الحسية والمعنوية في نفسه أو أهله أو ماله، فيحتاج إلى من يؤنسه ويُسَلّيه ويُهوِّن عليه مصابه، ويُطيّب قلبه، ولا يكون ذلك إلاّ بتذكيره بما جاء من عطايا الله للصابرين من الجزاء العظيم.

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، وزُلفى لديه يوم لقاه، إنّه أكرم مسؤول، والحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته
شيخة بنت محمد القاسم
Smq-1@hotmail.com

وللكتاب حكاية

أصل هذا الكتاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ محاضرة سبق أن ألقيتها قبل سنوات، وكانت عن فضل الصبر وما يُهوّن المصائب..

وبعد زمن .. شاء الله أن تكون ضمادًا لقلبي وبلسمًا لروحي وسلوىً لمصابي!

فقد كنت أنتظر والدي في الصباح الباكر على موعد بيننا، لكنْ قَدَر الله سَبَق ، وقضاؤه نفذ ، فلم يتم الموعد، إذ توفي في حادث سير -رحمه الله- فكان لمصيبة موته المفاجئ وقعها المؤلم على القلب، والحزن قد بلغ مبلغه، فالفقد مؤلم، وفراق الأب موجع، والنفس تضعف عند البلاء فتحتاج إلى من يذكّرها، ويهوّن عليها المصاب..

وهذا ما كان...فبعد أيام العزاء، ألقت علينا إحدى قريباتي محاضرتي هذه ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فأصغيتُ لها بقلبي وجناني، الكلام كلامي، والمصاب مصابي، فاخترقت سويداء القلب ، وربتت على مواضع الألم، شعرتُ كأني أسمعها لأول مرة!

وكان لهـا -بفضل الله- أثـر طيب على النفـس المكلومة، وجبر للفؤاد المحزون.

ومن هنا نشـأت فكرة طباعتها بعد التعديـل والإضافة إليها لتعم الفائدة.

أسـأل المولى سـبحانه أن يجـد المحـزون والمكـروب في هذا الكتاب سـلوته ، وأن ينفع به قارئه ومبلّغه، وأن يتقبل هذا العمل، إنه جواد كريم.

معنى الصبر وبيان مكانته وأنواعه

١ - معنى الصبر:

لغة: أصل الصبر: الحبس والمنع، وهو نقيض الجزع.

وقيل الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبرتُ الدابة: أي حبستها بلا علف.

وقيل أصل الكلمة: من الشدّة والقوة، ومنه الصَّبِر: للدواء المعروف؛ لشدّة مراراته وكراهته.

ومنه الصُّبُر: الأرض ذات الحصباء لشِدّتها وصلَابتها.

والتصبّر: هو تكلف الصبر[١]، قال ﷺ: «**وَمَنْ تَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**»[٢].

اصطلاحًا: هو منع النفس محابَّها، وكفّها عن هواها.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٣٨)، عدة الصابرين لابن القيّم، ص١٥، ص١٧.

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٦٩).

وقيل: هو حبس النفس عمّا لا يحسن فعله ولا يجمل، وحبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك[1].

٢ - مكانة الصبر:

- الصبر من أعظم مقامات الدّين، ومن أجلّ العبادات التي يتُقرب بها إلى ربّ العالمين، وهو عُدَّة المتقين، ومطية القاصدين إلى جنات النعيم، وصف به سبحانه صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ولِعِظَم مكانة الصبر ومنزلته، ذكره الله في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعًا، وحثَّ عليه، وشوّق إليه، وضاعف ثوابه فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

- ولا محالة فالعبد محتاج إلى الصبر، ولا غِنى له عنه في سائر حياته، ففيه الفوز والنجاة في دنياه وبعد الممات.

٣ - أنواع الصبر:

- ينقسم الصبر إلى ثلاثة أنواع :-

---

(١) تسلية أهل المصائب، ص١٤٠.

١- صبر على طاعة الله.

٢- صبر عن معصية الله.

٣- صبر على الأقدار.

س : أيُّ هذه الأنواع أفضل؟

ج : من أهل العلم من يرى أن الصبر على الطاعة أفضل الأنواع الثلاثة؛ لأنَّ فعل الطاعة آكد من ترك المعصية، ولأنّ الصبر فيها اختيار وإيثار ومحبة، والعبد إذا فعل الطاعة استوحش المعصية، ففعل الطاعة قائد إلى ترك المعصية.

والصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه، والصبر على الطاعة وعن المعصية أكمل من الصبر على الأقدار، فصبر إبراهيم عليه السلام على تنفيذ أمر الله بذبح ابنه إسماعيل أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف عليهما السلام[1].

وأمّا الصبر على المصيبة؛ فهو أمر جرى بغير اختيار العبد، فليس له حيلة في دفعه غير الصبر.

- وبانعدام صبر العبد في الأنواع الثلاثة تكون مصيبة الدين، والخسران الذي لا ربح معه، والحرمان الذي لا طمع فيه.

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيّم، ص٣٥٣ وما بعدها.

وبكمال صبره فيها يُدرك منازل المقربين الأخيار، وينال العيشة الهنيّة، والسعادة الأبديّة.

وستتناول هذه الأنواع بالتفصيل..

أنواع الصبر

أولاً: الصبر على طاعة الله

الصبر على الطاعة: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

- قال ابن قدامة: وقد يحتاج العبد إلى الصبر على الطاعة في ثلاثة أحوال:-

١- حال قبل العبادة: وهي تصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء.

٢- وحال في نفس العبادة: وهي أن لا يغفل عن الله تعالى في أثناء العبادة، ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن.

٣- حال بعد الفراغ من العمل: وهو الصبر عن إفشائه والتظاهر به لأجل الرياء والسمعة، وعن كل ما يبطل عمله، فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المنّ والأذى أبطلها[١].

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٧٠.

من أعظم ما يعين على الصبر على الطاعة :

١ – مجاهدة النفس على التقوى لتفوز برضى الله سبحانه:

– قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٩٠]، قال ابن القيّم رحمه الله : لا تقوم التقوى إلا على ساق الصبر[(١)].

كالصبر على أداء الفرائض في وقتها، ولاسيّما صلاة الفجر؛ فقد تتكاسل النفس عند لذة النوم ودفء الفراش، وكذلك صبر الوالدين على إيقاظ أبنائهم للصلاة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه:١٣٢].

– ومن جملة وصايا النبي ﷺ لأمته في حثّها على فعل الطاعات قوله ﷺ : «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**»[(٢)]، فمن جاهد نفسه على فعل الطاعات فسيرى من ربه الرحمات والبركات والإعانة على الطاعات، ومن كان غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه، قال ابن القيّم رحمه الله : لا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله برحمته عليه الملائكة تؤزّه إليها أزّاً ، ولا يزال يألف المعصية و يحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه إليها أزّاً[(٣)].

---

(١) الجواب الكافي، ص٥٦.

(٢) رواه أحمد برقم (٣٩٥٨).

(٣) الجواب الكافي، ص٥٦، تؤزّه: تحثّه.

٢ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به :

- قال خبّاب رضي الله عنه : تقرّب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبّ إليه من كلامه[١].

- قال ابن القيّم رحمه الله : فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، وقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب[٢].

- وقال أيضًا : إنَّ محبة الله هي التي تُنوّر الوجه، وتشرح الصدر، وتحيي القلب، وكذلك محبة كلام الله؛ فإنّه من علامة محبّة الله، وإذا أردتَ أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر إلى محبة القرآن من قلبك[٣].

- وفي قراءة القرآن بركة على القارئ وعلى أهل بيته، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إنّ البيت ليتسعُ على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره؛ أن يُقرأ فيه القرآن، وإنّ البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقلُّ خيره؛ أن لا يُقرأ فيه القرآن[٤].

---

(١) مختصر قيام الليل للمقريزي، ص٧٥.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).
(٣) الجواب الكافي، ص٢٣٥.
(٤) رواه الترمذي برقم (٣٥١٠).

٣ - حضور مجالس الذكر :

- وقد ورد في فضل حضورها أحاديث، منها:-

• قال ﷺ : «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ فَارْتَعَوا» قالوا : وما رياض الجنة؟ قال : «حِلَقُ الذِّكر»[١] الرتع : هو الإكثار من الشيء الحسن، فشبّه النبي ﷺ مجالس الذكر برياض الجنة، فكما ينشرح صدر المرء عند رؤية الرياض الخضراء، وينتفع من ثمارها، فكذلك ينتفع بمجالس الذكر الموصلة إلى الجنة.

• وقال ﷺ « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»[٢].

- قال ابن الجوزي رحمه الله: كم لله في مجالس الذكر من عين محرمة على النار، كم قد وضع فيها عن الظهور من ثقل الأوزار[٣].

٤ - معرفة ثمرات تقوى الله وطاعته ، من ذلك :

البركة في العمر والرزق والولد، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب. إنَّ طاعة الله لها لذة وحلاوة، تأنس بها الروح، لذة تُنسي

---

(١) صحيح الترمذي للألباني برقم (٣٥١٠).
(٢) شعب الإيمان (١/ ٤٥٤).
(٣) التذكرة ص ٢٧.

صاحبها نصَب الطاعة، بل تنسيه الجوع والظمأ، قال عبدالله بن وهب : لكلِّ ملذوذ في الدنيا لذّة واحدة إلاّ العبادة لها ثلاث لذّات : إذا كُنتَ فيها، وإذا تذكّرتَ أنك أديتها، وإذا أُعطيتَ ثوابها.

- ومن ثمرات التقوى : نيل محبة الله ،وإجلال الله أن يرى ويسمع ما يرضيه، والأمن من العذاب يوم القيامة ، ودخول الجنة دار النعيم والكرامة.

سابقْ إلى الخيرِ وبَادر به
فإنّ من خلفِك ما تعلم
وقدّم الخيرَ فكلّ امرئ
على الذي قدّمه يُقدِم

٥ - قراءة سير الصالحين :

وما هم عليه من المسابقة في الخيرات، قال محمد بن يونس : ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين[١]، وقال الجنيد : الحكايات جند من جنود الله يثبّتُ الله بها قلوب أوليائه[٢]، وشاهِدُه قوله سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[هود:١٢٠].

- وقد جعل الله سبحانه الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٤٥).
(٢) طبقات الأولياء لابن الملقن ، ص١٤٦.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فإنّ الدين كلّه علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بدّ فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر[١].

٦ - الدعاء:

- الافتقار إلى الله هو عين العبودية، والتذلل له هو عزّ الطاعة. وهو حادٍ يحدو العبد إلى مداومة التقوى والصلاح. وقد كان نبينا محمد ﷺ يطلب الإعانة من ربه، ويسأله الهداية والتقى.

- فممّا ورَدَ من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٢].

- ومن دعائه أيضًا ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنَى»[٣].

٧ - استحضار ما ورد من الثواب والجزاء لمن عمل صالحًا:

كقوله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[٤].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، ص٢٣٨.
(٢) رواه أبو داود برقم (١٥٢٢).
(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٨٩).
(٤) رواه أبو داود برقم (٤٢٥).

● وقوله ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[١].

● وقوله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٢].

- قال ابن القيّم رحمه الله: إنّ الذكر يورث صاحبه الإنابة؛ وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره، أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ملاذه وملجأه ومفزعه عند البلايا[٣].

- وللعمل في غربة الدين أجر عظيم، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»[٤].

- والعبد كلما كان في طاعةٍ إثرَ طاعة ثقُلت عليه المعاصي، واستوحشها، وحرص على اجتنابها، وأُعطي قوةً وثباتًا وأمانًا.

قال ابن القيّم رحمه الله: وطاعة الله هي الحصن الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٦٢٢)، (في سبيل الله): أي ابتغاء وجه الله.
(٢) رواه الترمذي برقم (٣٤٦٠).
(٣) الوابل الصيب، ص٩٢.
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم الحديث (٤٩٤).
(٥) الجواب الكافي، ص٧٥.

- فمن وفَّقه الله في الصبر على الطاعة حصلت له العاقبة الحسنة في الدارين، كما قال ابن رجب: فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه ؛ غلبَه، وحصل له النَّصر والظَّفر، ومَلَكَ نفسه فصار عزيزًا ملكًا، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك؛ قُهِر وغُلِب وأُسِر، وصار عبدًا ذليلاً، أسيرًا في يدي شيطانه وهواه، كما قيل:

إذا المرءُ لم يغلبْ هواه أقامَهُ
بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليلُ[1]

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٨٤).

ثانيًا : الصبر عن المعصية

الصبر عن المعصية: هو إمساك النفس عن الوقوع في المحرمات.

- قال ابن رجب رحمه الله : وقد يتولد الحياء من الله من التقلب في نعمه فيستحي العبد أن يستعين بنعمته على معاصيه[١].

- ومما يُلحظ أنَّ من الناس من يصبر على الطاعة، ولكن يقع في المعصية لعدم صبره عنها، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : «لَيْسَ تَقْوَى اللهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلاَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ»[٢]، وإذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات، وبقدر قلة خوف العبد من الله يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلّ الخوف واستولت الغفلة، كان ذلك من علامة الشقاء.

---

(١) فتح الباري (١/ ١١٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٠).

- لذا على العبد أن يبتعد عن مواطن الغفلة حتى لا يقع في أسرِ المعصية، قال ابن الجوزي رحمه الله: المعصية إلى الغافل أسرع انحدارًا من الصخرة إلى المكان السافل[١].

من أعظم ما يعين على الصبر عن المعصية:

١ - مجاهدة النفس عمّا حرّم الله؛ النفس الأمّارة بالسوء تدعو إلى ارتكاب المعاصي، فيصبّر الإنسان نفسه، ولا ينساق وراء هواه، فقد عابَ الله من فعل ذلك، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، قال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى[٢].

- قال ابن القيّم رحمه الله: وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، والقصدُ أنّ ملاحظة حسن العاقبة تُعين على الصبر[٣].

- فبحسب قوة صبر العبد يكون تركه للمعصية، قال بعض السلف: أعمال البِّر يفعلها البَر والفاجر، ولا يقدر على ترك المعاصي إلاّ صِدِّيق[٤].

---

(١) التذكرة، ص٥٤.
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٢٤).
(٣) تهذيب مدارج السالكين، ص٣٥٩.
(٤) قاعدة في الصبر، لابن تيمية، ص٣.

٢ - معرفة آثار الذنوب وسوء عاقبتها وقبح أثرها ، من ذلك :

- نقصان الرزق، ومحق بركة العمر، وحرمان حلاوة الطاعة، وزوال الأنس بالله، وإعراض الله وملائكته وعباده عنه ،فإنّ العبد إذا أعرض عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه أعرض الله عنه فأعرضت عنه ملائكته وعباده، كما أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه وأقبل بقلوب خلقه إليه.

فآثار المعصية القبيحة أكثر من أن يحيط بها العبد علمًا ، وآثار الطاعة الحسنة أكثر من أن يحيط بها العبد علمًا، فخير الدنيا والآخرة بحذافيره في طاعة الله، وشرّ الدنيا والآخرة بحذافيره في معصيته[١].

٣ - المسارعة إلى التوبة : وهي رجوع بالنفس إلى فيء الطاعة مع ندامةٍ على ماضٍ سيء، وانتباهٍ للقلب من رقدة الغفلة.

- وصفها أحمد بن عاصم[*] : بالغنيمة الباردة؛ أصلِح ما بقي من عمرك، يُغفر لك ما مضى[٢].

- قال ابن القيّم رحمه الله: القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة[٣].

---

(١) طريق الهجرتين ، ص٣٥١، وما بعدها باختصار.

(*) من علماء القرن الثالث الهجري.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٤٠٩).

(٣) الفوائد، ص١٤٦.

فالتوبة سبيل للنجاة، وباب للدخول في مغفرة الله ورحمته.

٤ - تعظيم شعائر الله كالصلاة والصيام والحجاب الشرعي

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأنّ تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

- قال ابن القيّم رحمه الله: من أسباب استقامة القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإنّ الله تعالى ذمّ من لا يعظّمُ أمره ونهيه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، فعلامة التعظيم للأوامر: رعاية حقوقها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحيّنها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوات الجماعة[1].

٥ - لزوم الصحبة الصالحة: أمر الله رسوله ﷺ بمجالسة المتّقين ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، فالمؤمن ضعيف بنفسه، قويٌّ بإخوانه، فالصاحب الصالح أعظم مُعينٍ على الخير؛ إن ضعُف صاحبُه عن الطاعة قوّاه، وإن زلّتْ قدمُهُ لمُحرَّمٍ نهاه، قال ﷺ: «اَلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ اَلْمُؤْمِنِ»[2].

---

(١) الوابل الصيب، ص١٣.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٩١٨).

- وقد حرص السلف على رفقة الأخيار ولزومهم، بل ودعوا الله سبحانه أن يوفِّقهم لها، فقد ورد أنّ علقمة التابعيّ رحمه الله لما هاجر من المدينة إلى الشام دعا ربّه: «**اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا**»، فلما دخل مسجد الكوفة فإذا بقوم، فجلس فيهم، فأقبل شيخ كبير حتى جلس إلى جواره، يقول: فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا أبو الدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسّر لي جليسًا صالحًا فيسّرك لي[(١)].

هذا دعاء الأخيار للجلوس مع الأخيار في زمن قريب من نور النبوة، فما الحال في هذا الزمان؟!

٦ - طلب العلم: قال ابن رجب رحمه الله: العلم النافع هو ما عرّف العبدَ بربّه، ودلّه عليه حتى عرفه، ووحدّه وأنِسَ به، واستحى من قربه وعَبَدَهُ كأنّه يراه[(٢)]، فمن سعادة المرء انشغاله بالعلم النافع، الذي به يعرف الله بأسمائه وصفاته، وما أحلّ وما حرّم، قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٣)].

- فالعلم يورث صاحبه خشية الله والبعد عن معاصيه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]، فمن كان بالله أعلم كان له أخشى وأخوف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنّما العلم خشية الله[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٤٢).
(٢) فضل علم السلف، ص٦٩.
(٣) رواه البخاري برقم (١٧).
(٤) جامع بيان العلم وفضله، ص٣١٣.

- ومن طلب العلم لينتفع به ظهرت بركات العلم عليه كما قال الحسن رحمه الله مُبيّنًا أثر العلم على من حمله: وقد كان الرجل يطلب العلم حتى يُرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره وبرّه[1].

٧ - **التفكر في المآل**: إذا تفكر العبد في حال الدنيا، وأنها مزرعة للآخرة، وتفكّر في القدوم على ربه وحيدًا فردًا، وتفكر في القبر وظلمته، والقيامة وأهوالها، والصراط وحِدَّته، والميزان ثقله وخفته، وتطاير الصحف، والمنصرف إلى الجنة أو إلى النار، لم يغترّ بحلم الله عليه وهو مقيمٌ على معاصيه، فقد يأخذه على غِرّة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[الانفطار: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣].

- قال ابن القيّم رحمه الله: كُنْ من أبناء الآخرة، ولا تكن من أبناء الدنيا، فإنّ الولد يتبع الأم[2].

٨ - **الدعاء**: إنّ أعزّ ما يملك الإنسان في هذه الحياة دينه. فينبغي للعبد أن يكثر من الدعاء بأن يجنبه الله الفتن، وأن يثبّته على هذا الدين حتى يتوفّاه عليه، وقد علّمنا ﷺ أن ندعو قبل السلام من الصلاة «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ**

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٢٩١).

(٢) الفوائد ص ٨٠.

المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[١].

(فِتْنَةِ المَحْيَا): ما يتعرض له المرء مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأشدّها وأعظمها - والعياذ بالله- أمر الخاتمة عند الموت ، و(فِتْنَةِ الْمَمَاتِ): ما يُسأل عنه الإنسان في قبره: مَنْ ربُّك وما دينك ومَنْ نبيك؟.

- ومن دعاء النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ»[٢]، قال الشعبي: إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه[٣]،وفي الحديث عنه ﷺ: « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ »[٤]، لأن القلب إذا امتلأ بالخوف من الله أحجمتْ الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي.

٩ - استحضار نيل العوض من الله عند ترك المعصية، قال ﷺ : «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»، وفي رواية: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ»[٥].

- فمن ترك شيئًا تهواه نفسه عوّضه الله خيرًا منه في الدنيا والآخرة،

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٨٨).
(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٩١).
(٣) ذم الهوى لابن الجوزي، ص١٨.
(٤) رواه الترمذي برقم (٣٥٠٢).
(٥) رواه أحمد برقم (٢٣٠٧٤) (٢٠٧٣٩).

فمن ترك معاصي الله ونفسهُ تشتهيها؛ عوّضه الله إيمانًا في قلبه، وسعة وانشراحًا في صدره، وبركة في رزقه، وصحة في بدنه، مع ما له من ثواب الله الذي لا يُقدرُ على وصفه[١].

- وقال ابن القيّم رحمه الله: والعِوض أنواع مختلفة، وأجلّ ما يُعوَّض به؛ الأنس بالله، وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربّه تعالى[٢].

- والصبر عن المعاصي سبب لوصول الفتوحات للعبد، قال سلمة بن دينار: إذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح[٣].

ومن أعظم الفتوح للعبد أن يرزقه الله نور البصيرة، والتوفيق للطاعة، والبركة في الوقت والرزق، وتيسير الأمور وغير ذلك.

- وإذا فتح الله سبحانه على عبده من خزائن فضله، فيا لفوزه وسعادته!

---

(١) الفوائد الفقهية لابن سعدي (٧/ ١٤٦) ضمن مجموع مؤلفاته.

(٢) الفوائد، ص١٦٠.

(٣) حلية الأولياء للأصبهاني (٣/ ٢٣٠).

ثالثًا : الصبر على الأقدار

الصبر على الأقدار: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

- قال ابن تيمية رحمه الله : المحن كالحرّ والبرد ،فإذا علم العبد أنَّه لابدّ منها لم يغضب لورودها ، ولم يغتمّ لذلك ولم يحزن[1].

إني رأيتُ وفي الأيّامِ تجربةٌ
للصبر عاقبة محمودةُ الأثَرِ
وقلّ من جدَّ في أمرٍ يؤمله
واستصحبَ الصبرَ إلاّ فازَ بالظَّفَرِ

- والناس في العافية سواء فإذا؛ جاءت البلايا استبان الصادق من الكاذب، **فهم عند المصائب على أربع مراتب :**

المرتبة الأولى: التسخط: وهو على أنواع :

(أ) أن يكون بالقلب، كأن يسخط على ربه، يغتاظ مما قدّره الله

(١) ذكره عنه تلميذه ابن القيّم في تهذيب مدارج السالكين ص ٦٣٥.

عليه، فهذا حرام، وقد يؤدي بصاحبه إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج: ١١].

(ب) أن يكون باللسان، كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، قال ابن الجوزي رحمه الله: رأيت رجلاً كبيرًا أعرفه قد قارب الثمانين، وكان يحافظ على الجماعة، فمات ولد ابنته فجزع وتلفظ بكلام فيه تسخّط، فعلمتُ أن صلاته وفعله للخير عادة، لا أنّه ينشأ عن معرفة إيمان، وهؤلاء من الذين يعبدون الله على حرف[1].

(ج) أن يكون بالجوارح، كلطم الخدود، وشقّ الجيوب، ونتف الشعور، وما أشبه ذلك، وكل ذلك حرام منافٍ للصبر الواجب[*].

المرتبة الثانية: الصبر: يرى أنّ هذا الشيء ثقيل عليه لكن يتحمّله، وهو يكره وقوعه، ولكن يحميه إيمانه من السخط، فليس

---

(١) تسلية أهل المصائب، ص٢٢.

(*) **فائدة:** حكم الإحداد على غير الزوج: تترك بعض النساء الزينة والطيب وحضور الولائم مُدة طويلة حزنًا على وفاة أخ أو أب: كلّ ذلك لا يجوز أكثر من ثلاث ليالٍ لما في ذلك من التسخط على المصيبة، فقد ورد عن أم حبيبة رضي الله عنها أنّه لما توفي أبوها (سفيان بن حرب) دعت بطيب، ثم مسحت بعارضيها بعد مرور ثلاث ليال، ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «لا يحلُّ لامرأةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إِلاَّ عَلى زوجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» (رواه البخاري برقم (٥٠٢٤).

وقوعه وعدمه سواء عنده، وهذا واجب، لأنّ الله تعالى أمر بالصبر ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»(١).

- قوله ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ» أي: نور للعبد في قلبه، وفي وجهه، وفي قبره، وفي حشره ...، وأما الصبر فقال إنّه (ضِيَاءٌ) أي فيه نور، لكن نور مع حرارة كما قال الله ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥]، فالضوء لا بدّ فيه من حرارة، وهكذا الصبر لا بدّ فيه من حرارة وتعب؛ لأنّ فيه مشقة كبيرة، ولهذا كان أجره بغير حساب، فالفرق بين النور في الصلاة والضياء في الصبر: أنّ الضياء في الصبر مصحوب بحرارة لما في ذلك من التعب القلبيّ والبدنيّ في بعض الأحيان(٢).

المرتبة الثالثة: الرضا: بأن يرضى الإنسان بالمصيبة، بحيث يكون وجودها وعدمها سواء، فلا يشقّ عليه وجودها، ولا يتحمل لها حملاً ثقيلاً، وهذه مستحبة، وليست بواجبة على القول الراجح. والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهر؛ لأنّ المصيبة وعدمها سواء في الرضا عند هذا، وأما التي قبلها فالمصيبة صعبة عليه، لكن

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين (١/ ١٩٠).

صبر عليها.

المرتبة الرابعة : الشكر: وهذه أعلى مراتب الصبر، وذلك بأن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة حيث عرف أنّ هذه المصيبة سبب لتكفير ذنوبه وربما لزيادة حسناته[١]، فالمصائب نعمة لأنها تكفر الذنوب، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله والذلّ له، والإعراض عن الخلق إلى غير ذلك من المصالح[٢].

- هذه المرتبة لا يبلغها إلاّ ذو حظٍ عظيم، مِمَّن قام في قلبه معرفة الله، والرضا بقدره.

(١) فتاوى العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين، ص٥٦١.

(٢) حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ص٢٦١.

ما جاء في المصيبة

١ - تعريف المصيبة :

- يظنُّ بعض الناس أنّ المصيبة ما كانت في أمورٍ عِظَام كفقد عزيزٍ أو مرضٍ خطير، والصحيح : أنّها كلّ مكروه يحلّ بالإنسان[١]. كالأذى في النفس أو الولد أو المال، أو استطالة الناس عليك، حتى الشوكة تُشاكها أو الشيء تفقده.

- قال أبو بكر رضي الله عنه : «إن المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في النكبة، وانقطاع شسعه، والبضاعة تكون في كمه فيفقدها، فيفزع لها فيجدها في ضبّته»[٢]، ولما انقطعت شسع نعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه استرجع وقال: «**كل ما ساءك مصيبة**»[٣].

---

(١) المعجم الوسيط، ص١٢٠.

(٢) الزهد للإمام أحمد، ص١٠٩، الشسع: خيط النعل، الضبأ: الموضع الذي يكون فيه.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي رقم (٩٦٩٤).

٢ - كتمان العبد المصيبة :

- كتم المصيبة أفضل وهو من كمال الصبر، قال ابن قدامة: إن كانت المصائب مما يمكن كتمانها؛ فكتمانها من نعم الله عز وجل الخفية، قال علي رضي الله عنه: من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك[١].

- وأما إذا كان الإخبار على سبيل الاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره، فلا يقدح ذلك في الصبر؛ كإخبار المريضِ الطبيبَ بشكاته، وإخبار المظلوم بحاله لمن ينتصر له، وإخبار المبتلى ببلائه لمن يرجو أن يكون فرَجه على يديه.

وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: كيف تجدك؟ وهذا استخبار منه واستعلام عن حاله[٢].

- ولا يُنافي الصبر الإخبار عمّا يُعانيه الإنسان من غير تَشكٍّ، إنما الممنوع هو الشكوى بجزع وتسخط.

وأما كون الإنسان يُخبر عن حاله بأنّه يحس بألم كذا على سبيل الإخبار، لا على سبيل الشكوى؛ فهذا لا شيء فيه كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ وهو يوعَك، فقلت:

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٧٣.

(٢) عدة الصابرين لابن القيّم، ص٣٢٣.

يا رسول الله، إنّك توعك وعكًا شديدًا، قال: «أجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُم»[١].

٣- حكم البكاء والحزن عند المصيبة:

- قال ابن القيّم رحمه الله: ولا ينافي الصبر: البكاء والحزن، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف:٨٤]، قال عبيد بن عمير: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع: القول السيء والظن السيء[٢].

٤ - حكم أنين العبد عند المصيبة:

- قال ابن القيّم رحمه الله: الأنين على قسمين:

أنين شكوى: فيُكره.

وأنين استراحة وتفريج: فلا يُكره[٣].

٥ - أنواع الصبر على المصائب:

- قال ابن تيمية رحمه الله: الصبر على المصائب نوعان:

النوع الأول:

- نوع لا اختيار للخلق فيه؛ كالأمراض وغيرها من المصائب

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٤٨)، ومسلم برقم (٢٥٧١)، الوعك: حرارة الحمى وألمها.

(٢) عدة الصابرين، ص٥٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥٢٥.

السماوية، وهذا النوع يسهل الصبر فيه؛ لأنّ العبد يشهد فيه قضاء الله وقدره، وأنّه لا مدخل للناس فيه، فيصبر إما اضطرارًا، وإما اختيارًا.

النوع الثاني :

- المصائب التي تحصل للعبد بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه. وهذا النوع يصعب الصبر عليه جدًّا، لأنّ النفس تستشعر المؤذي لها ، وهي تكره الغلَبة، فتطلب الانتقام، ولا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصدِّيقون.

وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والهدى والسرور والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له، وزيادة العلم، ولهذا قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين[١].

(١) قاعدة في الصبر والشكر، ص٩.

ما يفعله المصاب عند وقوع المصيبة

قد يُذهل المصاب عند وقوع المصيبة، فيُذكَّر بهذه الأمور المهمّة:

١ - الاسترجاع:

- على العبد الاسترجاع عند وقوع المصيبة؛ كالعلم بموت قريب، أو إصابة بمرض، أو العلم بشيء يضره في نفسه أو ماله أو ولده، قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦]، فقوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أي: إما بالخُلف كما أخلف الله تعالى لأمّ سلمة رضي الله عنها بدل زوجها رسول الله ﷺ حين اتّبعَتْ السنة، وقالت ما أُمِرت به ممتثلة طائعة. وقد يحصل للعبد بكلمات الاسترجاع منزلة عالية وثوابًا جزيلاً.

- وقد جعل الله كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ملجأً وملاذًا لذوي المصائب، وعصمة للممتَحَنين من الشيطان؛ لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة،

فيهيج منه ما سكن، فإذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة ذهب ما به.

فإنّ قوله ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: توحيد وإقرار بالعبودية والملك.

وقوله ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: إقرار بأنّ الله يميتنا ثم يبعثنا، فهو إيمان بالبعث بعد الموت، وهو إيمان أيضًا بأنّ له الحكم في الأولى، وله المرجع في الأخرى، فهو من اليقين أنّ الأمر كله لله، فلا ملجأ منه إلاّ إليه[1].

- وفي الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ له خَيْرًا مِنْها»[2]. قالت: فلما مات أبو سلمة، قلتُ: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنّي قلتها، فأخلفَ الله لي رسول الله ﷺ(*).

---

(١) انظر: تسلية أهل المصائب، ص٨.

(٢) رواه مسلم برقم (٩١٨).

(*) وقصة خطبة أم سلمة رضي الله عنها كالآتي: قالت رضي الله عنها: (لما انقضت عدّتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهابًا لي فغسلت يدي وأذنت له، فوضعتُ له وسادة أدم حشوها ليف، فقعد عليها، فخطبني إلى نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله: ما بي أن لا يكون بك رغبة؟ ولكنيّ امرأة فيّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئًا يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنّ،=

٢ - مجاهدة النفس على ما يُرضي الله سبحانه:

- قال ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[١].

قال النووي رحمه الله: أصل الصَّدم: الضرب في شيء صلب، ثم استُعمل مجازًا في كل مكروه حصل بغتة[٢].

فالصبر عند الصدمة الأولى: يدلُّ على قوة إيمان صاحبه، وثباته عند المحن، وحسنُ تعلّق قلبه بالله سبحانه.

- ومعنى الحديث: أنّ الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو[٣].

- قال ابن الجوزي رحمه الله: وليعلم العاقل أنّ البلايا ضيوف فليُعد لها قِرَى الصبر[٤].

=وأنا ذات عيال، فقال لها ﷺ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ، فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللهُ عَنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ، فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي» قلت: سلَّمتُ لرسول الله ﷺ، فتزوجها ﷺ، فكانت أم سلمة تقول بعد: أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه رسول الله ﷺ (تفسير ابن كثير (١/ ١٩٨).

(١) رواه البخاري برقم (١٢٥٢)، ومسلم برقم (٩٢٦).

(٢) شرح مسلم (٦/ ٢٢٧).

(٣) فتح الباري (٣/ ١٤٩).

(٤) الثبات عند الممات، ص٣٢.

- قال بعض الحكماء: العاقل في أول يوم من المصيبة يفعل ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلوَ البهائم[١].

تعزّ بحُسنِ الصبرِ عن كلِ هالكٍ
ففي الصبرِ مسلاةُ الهمومِ اللوازِمِ
إذا أنت لم تسلُ اصطبارًا وحِسبَةً
سَلوتَ على الأيامِ مثلَ البهائمِ
وليس يذودُ النّفسَ عن شَهواتِها
من النّاسِ إلاّ كلُّ ماضي العزائمِ

٣ - الفزع إلى الصلاة:

- الصبر من أكبر العون على الثبات في الأمر، فقد كان ﷺ «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»[٢]، وورد أن ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه (قثم) وهو في سفر فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق فأناخ، وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، قال ابن جريج في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ إنهما معونتان على رحمة الله[٣].

---

(١) عدة الصابرين، ص٩٤.
(٢) رواه أبو داود برقم (١٣١٩).
(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٧).

- فالصبر والصلاة من أجود ما يُستعان به على تحمل المصائب، لأنّ النفس تضعف عند البلاء.

٤ - لزوم أدعية الكرب والهمّ والحزن :

- وقد ورد عن النبي ﷺ أدعية كثيرة ، منها :

أ - كان ﷺ يقول عند الكرب : «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[١].

- قال النووي رحمه الله : وهو حديث جليل ، ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة[٢].

ب - وكان ﷺ إذا كربه أمر قال : «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[٣].

- قال ابن القيّم رحمه الله : كان ابن تيمية شديد اللّهج بهذين الاسمين، وقال لي يومًا : لهذين الاسمين تأثير عظيم في حياة القلب[٤].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٤٣٥).
(٢) شرح مسلم (١٧/ ٩٦).
(٣) رواه الترمذي برقم (٣٥٢٤).
(٤) تهذيب مدارج السالكين، ص٢٤١.

ج – وقال ﷺ: «مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ، فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ، كُشِفَ ذَلِكَ عَنْهُ»[١].

– قال المناوي رحمه الله: إذا قال هذه الكلمة بصدق، عالمًا معناها، عاملاً بمقتضاها، فإنّه إذا أخلص وتيقن أنّ الله ربّه لا شريك له، وأنّه الذي يكشف كربه، ووجه قصده إليه؛ لا يُخيِّبه...، فإذا فرّ إلى ربّه وسلَّم أمره إليه، وألقى نفسه بين يديه من غير شركة أحد من الخلق؛ كُشف عنه ذلك، فأمّا مَنْ قال ذلك بقلبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فهيهات[٢].

د – وقال ﷺ: «ما أصابَ أحَداً قَطُّ هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقالَ: اللهُمَّ إني عبدُكَ، ابنُ عبدِكَ، ابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألُكَ بكُلِّ اسمٍ هو لَكَ، سمَّيْتَ بهِ نفسَكَ، أو علَّمتَهُ أحَداً من خلقِكَ، أو أنزلْتَهُ في كتابكَ، أو استأثَرْتَ بهِ في عِلمِ الغيبِ عندَكَ، أنْ تجعَلَ القُرآنَ رَبيعَ قلبي، ونُورَ صَدْرِي، وجِلاءَ حُزْني، وذهابَ هَمِّي، إلاَّ أذهَبَ اللهُ هَمَّهُ وحُزْنَهُ، وأبْدَلَهُ مكانَهُ فَرَحًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[٣].

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٥٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩١٦).
(٢) فيض القدير (٦/ ٦٦) بتصرف.
(٣) رواه أحمد برقم (٣٧١٢).

- قال ابن القيّم رحمه الله : لمَّا كان الحزن والهمّ والغمّ يضادّ حياة القلب واستنارته ، سأله أن يكون ذهابها بالقرآن؛ فإنها أحرى ألا تعود، وأمّا إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد فإنها تعود بذهاب ذلك[١].

٥ - تناول التّلبينة (طعام المصاب والحزين) :

- معلوم أنّ المصاب لا يشتهي الطعام ، لكن عليه أن لا يستسلم لنفسه الضعيفة حتى لا يضرَّها، ومن أنفع ما يتناوله الحزين والمصاب: التّلبينة؛ لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتّلبينة للمريض ، وللمحزون على الهالك، وتقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ**»[٢]، قال ابن حجر رحمه الله : (**التَّلْبِينَةُ**): قال الأصمعي : هي حساء يُعمل من دقيق أو نخالة، ويُجعل فيه عسل، وقال غيره: أو لبن، وسُمّيت تلبينة تشبيهًا لها باللبن في بياضها ورقتها[*]،

---

(١) الفوائد، ص٤٩.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٨٦).

(*) **قال ابن القيّم** : التّلبين : هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، وإذا شئت أن تعرف فضل التّلبينة، فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير ؛ فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنُخالته ، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يُطبخ صحاحًا، والتّلبينة تُطبخ منه مطحونًا ، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن (زاد المعاد ٤/ ١٢٠). =

(**مُجِمَّةٌ**): مريحة له: والمعنى أنها تُرِيحُ فؤاده، وتُزيل عنه الهمّ وتُنشطه[١].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أحدًا من أهله الوعك أمر بالحساء من الشعير فصُنع، ثم أمرهم فحَسُوا منه ثم يقول: إنه ليرتُو فؤاد الحزين، ويسرُو فؤاد السقيم كما تسرو إحداكنّ الوسخ بالماء عن وجهها**»[٢].

ومعنى (**يرتو**): يشدّه ويقوّيه، لأنّ الحزن يُرخي القلب ويُضعفه، (**يسرو**): يكشف ويزيل.

٦ - مشروعية الرقية للمصاب:

- وذلك بأن يرقي المصاب نفسه أو يرقيه غيره بسور أو آيات أو بالأدعية النبوية، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الإسراء، آية: ٨٢].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ

=- **من فوائد الشعير**: أنه يحتوي على معادن البوتاسيوم والمغنيسيوم التي لها تأثيرات على الموصلات العصبية التي تساعد على التخفيف من حالات الاكتئاب، وفي حالة نقص البوتاسيوم يزداد شعور الإنسان بالاكتئاب والحزن، ويجعله سريع الغضب والانفعال والعصبية.

(١) فتح الباري (٩/ ٥٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٣٤٤٥).

فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ :نَعَمْ، قَالَ :بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَـرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[١].

قوله ﷺ : (بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ) : يعني أقرأ عليك.

وقوله ﷺ: (مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ يُؤْذِيكَ) عام، في كل شـيء يؤذيه من مرض أو حزن أو همّ أو غمّ أو أي شيء يكون[٢].

- وهـذا الحديث يدل على مشـروعية رقية المريـض، والحزين والمهموم، وهذا أمر قد يغفل عنه الكثير!.

٧ - قراءة آيات السكينة :

- قـال ابن القيّم : وكـان ابن تيميّة إذا اشـتدّت عليه الأمور قرأ آيات السـكينة، وقد جربتُ أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيتُ لها تأثيرًا عظيمًا في سـكونه وطُمأنينته[٣]، وقد ذكر الله سبحانه آيات السكينة في كتابه في خمسة مواضع، وهي :

١ - ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٦].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢١٨٦).

(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين(٤/ ٤٨٦).

(٣) تهذيب مدارج السالكين، ص٤٩٧.

٢ - ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠]

٣ - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤]

٤ - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]

٥ - ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]

ما يهوّن المصائب

- تألَمُ النّفس إذا وقعت عليها المصيبة؛ وذلك لطبيعة النفس البشرية، فإذا استحضر المؤمن ما يخففها على قلبه، كان ذلك معينًا لصبره وشكره، ومن ذلك :

١ - العلم بأنَّ من تمام رحمة الله وعلمه وحكمته أنّه يسوق إلى عبده البلاء ليُهذّبه ويمحّصه، ويكفر ذنوبه، ويرفع درجاته، ويزيد حسناته، فهو سبحانه أعلم بمصلحته.

وقد هذَّبتْكَ الحادثاتُ وإنما
صفا الذهبُ الإبريزُ(*) قبلك بالسّبك

- قال ابن القيّم رحمه الله : من رحمة الله أن نغَّص على عباده دنياهم وكدّرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم[1].

(*) الذهب الإبريز: أي الذهب الخالص.

(١) إغاثة اللهفان ص٤٢١.

- وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا».

(وَمِنَ الْيَقِينِ): أي: وارزقنا اليقين؛ وهو أعلى درجات الإيمان، (ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا)[1]: بأنْ نعلم أنّ ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة وحصول ثواب، وأنّك لا تفعل بالعبد شيئًا إلا وفيه صلاحه.

٢- لابُدّ أن يعلم المصاب أنّ الذي ابتلاه بالمصيبة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنّه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه(*)، وإنما ابتلاه به ليمتحن صبره، ورضاه عنه، وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا على بابه، لائذًا بجنابه،

---

(١) سبق تخريجه.

(*) **تنبيهات:** قول: (فلان ما يستاهل) إذا أصيب بمرض: - لا يجوز هذا القول، لأنه اعتراض على الله سبحانه، وهو سبحانه أعلم بأحوال عباده من صحة ومرض، ومن غنى وفقر وغير ذلك، وإنما المشروع أن يقال (عافاه الله وشفاه) ونحو ذلك من الألفاظ الطيبة، (مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز ٨/ ٤٢١).

- لعن المرض وما أصابه من فعل الله: هذا من أعظم القبائح، لأنّ لعنه للمرض الذي هو تقدير الله بمنزلة سب الله تعالى، فعلى من قال مثل هذه الكلمة أن يتوب إلى الله، وأن يعلم أنّ المرض بتقدير الله، (فتاوى العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين ص٧٥٣).

- مرض السرطان (المرض الخبيث): لا يوصف بالخبث، وإنما يقال: المرض الخطير، المأمور، ونحو ذلك.

مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه[١]. إن كان غافلاً فحريٌّ به أن يرجع إلى الحق، وإن كان تقيًا كان ذلك سببًا لرفع درجاته.

-قال الفضيل: إنّ الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: ١٥٥].

- قال لقمان لابنه: يا بُني، الذهب والفضة تختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلاء[٢].

٣ - ليعلم المصاب في دنياه: أنّ المصيبة العظمى والرَّزية الكبرى هي مصيبة الدين، وقد كان ﷺ يكثر من دعاء: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[٣]، وورد عنه ﷺ: «**وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**»[٤]، ومن دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨].

وكُـلُّ كسـرٍ لـعـلّ الله جَـابِـرُه

ومـا لِـكَـسْـرِ قـنـاةِ الـدّيـن جُـبـرانُ

- فمصيبة الدين أعظم الرزايا، وأشدّ البلايا.

---

(١) تسلية أهل المصائب، ص١٤٤.

(٢) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (١/ ٩١).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

كُلُّ المصيباتِ إن جلّتْ وإن عظُمتْ

إلّا المصيبات في دينِ الفتَى جَلَلُ

- ومَنْ أدبرتْ عنه الدنيا وسَلِمَ له دينه، خيرٌ ممن أقبلتْ عليه الدنيا وخَسر دينه.

إذا أبقتْ الدُّنيا على المرءِ دينَه

فمَا فاتَهُ مِنها فليسَ بِضائِر

٤- أن المصيبة قد قدّر وقوعها العليم الحكيم، فالإيمان بالقضاء والقدر الذي هو من أركان الإيمان الستة؛ به استراحة البال من الأحزان، فما خُطَّ في الغيب سيقع، وقضاء الله نافذ.

قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[(١)]، وقال ﷺ: «إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي (*)أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٥٣).

(*) نفثَ: أي أوحى، رُوعِي: أي في نفسي وقلبي.

(٢) صحيح الجامع للألباني برقم (٢٠٨٥).

وقال ﷺ: « وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ »[١]؛ ومعنى ذلك: أنه فُرغ مما أصابك أو أخطأك من خير أو شرّ، فما إصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك، وما أخطأك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك، لأنها سهام صائبة وجهت من الأزل، فلا بُدّ أن تقع مواقعها[٢].

- وقال الحسن: نعم والله، إنّ الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلاً أنه كائن في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا في الخاصة والعامة، حتى أن الرجل ليأخذ العصا، ما يأخذها إلا بقضاء وقدر.

تجري المقاديرُ على غرز الإبر
ما تنفذُ الإبرةُ إلاّ بِقَدَرِ

- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنّ أول شيء خلقه الله عز وجل القلم، فقال له: اكتب، فكتب كل شيء يكون في الدنيا إلى يوم القيامة، فيجمع بين الكتاب الأول وبين أعمال العباد، فلا يخالف ألفًا ولا واوًا أو ميمًا.

---

(١) رواه الحاكم برقم (٦٣٠٤).

(٢) دليل الفالحين لابن علان (١/ ٢٣٣).

(*) أمّ الكتاب: هو اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء.

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، يكتب من أُمّ الكتاب(*) في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر، حتى الحجاج يقال: يحجّ فلان ويحجّ فلان.

- قال سعيد بن جبير رحمه الله: في هذه الآية: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، وهذا التقدير السنويّ في ليلة القدر كالتفصيل من القدر السابق، وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه. وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٩]، وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ؛ فتنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوها، فيجدون ذلك موافقًا لما يعملونه، فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو(١).

- ولهذا لا يكون القلب محققًا للتوحيد، حتى يعلم أنّ كل شيء بقضاء الله وبقدره، وأنَّ قضاء الله نافذ، وقدره ماضٍ، وما سبق من الفعل قد قدّره الله وقدّر نتائجه، فالعبد لا يقدر أن يرجع إلى الماضي فيغيّره، فإنّه مهما فعل؛ لن يحجز قدر الله، وإذا استعمل لفظ (لو) التي تدل على التحسر والندم على ما فات؛ فإنّ ذلك يضعف القلب،

(١) شفاء العليل لابن القيّم (١/ ٥٩) وما بعدها.

ويجعل القلب متعلّقًا بالأسباب، منصرفًا عن اليقين بتصريف الله في ملكوته. وكمال التوحيد إنّما يكون بعدم الالتفات إلى الماضي. **فما مضى من المقدر حالان**: مصائب (وفيها الصبر)، ومعائب (وفيها التوبة)[١] وبذلك يطمئن القلب وينشرح الصدر.

٥ - معرفة الله بأسمائه وصفاته: قال بعض السلف: من عرف الله اتسع عليه كل ضيق[٢].

- وذلك أنّ العبد المُبتلى إذا عرف الله بأسمائه وصفاته أَنِسَ بالقرب منه، واطمأنت نفسه، وانشرح صدره، وامتلأ قلبه رجاءً وطمعًا فيما عنده؛ فالله سبحانه رحيم أرحم من الأم بولدها، وحكيم فيما يقضيه ويقدره، وعليم بأحوال عباده، ولطيف يسوق النعم في بطون البلايا، وقدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وغني خزائن السماوات والأرض بيده، وجبّار يجبر القلوب المنكسرة، وقريب مجيب دعاء من دعاه، يستحي أن يرد يدي عبده صفرًا.

- قال ابن القيّم رحمه الله: إنّ من عرف الله أحبّه ولا بُدّ، ومن أحبّه انكشف عن قلبه الهموم والأحزان، وعُمّر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلتْ عليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنّه لا حزن مع الله أبداً. ولهذا قال سبحانه حكاية عن نبيه محمد ﷺ أنّه قال لصاحبه

---

(١) انظر (التمهيد لشرح كتاب التوحيد) للشيخ صالح آل الشيخ ص ٥٣٠.
(٢) تهذيب مدارج السالكين، ص٦١٧.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فدلّ على أنّه لا حزن مع الله، وأنّ من كان الله معه فماله وللحزن ؟وإنّما الحزن لمن فاته الله، فمن حصّل الله له فعلى أيّ شيء يحزن ؟! ومن فاته الله فبأي شيء يفرح ؟![1].

٦- **التسلية في بيان رحمة الله،** وأنّ رحمته سبحانه وسعت كل شيء، وأنّه كتب على نفسه الرحمة «**وغلبت رحمتي غضبي**»[2].

٧- **ومما يهوّن المصيبة : اليقين بأنّ الله سبحانه قد أراد بعبده المبتلى خيرًا،** قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا، يُصِبْ مِنْهُ**»[3]، وقال ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيا، وَإِذَا أَرادَ بِعَبْدِهِ شرًا أَمْسَكَ عَنْه بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**»[4].

- قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعليقًا على هذا الحديث: الإنسان لا يخلو من خطأ ومعصية وتقصير في الواجب، فإذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا؛ إما بماله، أو بأهله، أو بنفسه، أو بأحد ممن يتصل به، لأن العقوبات تكفر السيئات، فإذا تعجلت العقوبة وكفّر الله بها عن العبد، فإنه يُوافي الله وليس عليه ذنب، قد طهّرته المصائب والبلايا، **حتى أنَّه ليُشدّد على الإنسان موته لبقاء**

---

(١) طريق الهجرتين، ص٣٦١.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٥٤).

(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٤٥).

(٤) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٦)، صحيح الجامع برقم (٣٠٨).

سيئة أو سيئتين عليه، حتى يخرج من الدنيا نقيًا من الذنوب، وهذه نعمة؛ لأنّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

لكن إذا أراد الله بعبده الشرّ أمهل له، واستدرجه وأدرَّ عليه النعم، ودفع عنه النقم حتى يبطر - والعياذ بالله - ويفرح فرحًا مذمومًا بما أنعم الله به عليه، وحينئذ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته، فيعاقب بها في الآخرة، نسأل الله العافية[١].

- قال ابن قدامة رحمه الله: لو أنّ ملكًا قال لرجل فقير: كلما ضربتك بهذا العود اللطيف ضربة أعطيتك ألف دينار، لأحبّ كثرة الضرب، لا لأنه لا يؤلم، ولكن لما يرجو من عاقبته، وإن أنكاه الضرب، فكذلك السلف تلمحوا الثواب؛ فهان عليهم البلاء[٢].

الصّبرُ مثل اسمه مرّ مذَاقته
لكنْ عواقبُه أحلَى مِن العسلِ

ولمزيد من الفائدة؛ هذا جواب للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله لسؤال وجّه إليه يتعلق بهذا الموضوع:-

س: إذا ابتلي أحد بمرض أو بلاء سيء في النفس أو المال، فكيف يعرف أن ذلك الابتلاء امتحان أو غضب من عند الله؟

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٢٥٨).
(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٧٤.

فأجاب رحمه الله: الله سبحانه يبتلي عباده بالسراء والضراء وبالشدة والرخاء:

•• قد يبتليهم بها لرفع درجاتهم ،وإعلاء ذكرهم ،ومضاعفة حسناتهم ،وليكونوا قدوة لغيرهم في الصبر والاحتساب كما يفعل بالأنبياء والرسل عليهم السلام والصالحين من عباده، كما قال النبي ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»(١).

••وتارة يفعل ذلك سبحانه بسبب المعاصي والذنوب، فتكون العقوبة معجلة كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى:٣٠].

- فالغالب على الإنسان التقصير وعدم القيام بالواجب، فما أصابه فهو بسبب ذنوبه وتقصيره بأمر الله.

•• فالحاصل أنه قد يكون البلاء لرفع الدرجات وإعظام الأجور كما يفعل الله بالأنبياء وبعض الأخيار، وقد يكون لتكفير السيئات(٢).

-فعلى العبد أن يراجع نفسه، ويسارع إلى التوبة رجاء أن يرفع الله عنه ماحلّ به من بلاء، والله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:٣٧].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧١)..

٨- **إنّ الصبر على المصيبة كنز عظيم من كنوز الخير**، لا يعطيه الله إلّا لعبد كريم، فقد ابتُلي الأنبياء عليهم السلام فصبروا، بل إنّهم أشد الناس ابتلاءً كما قال ﷺ: « أَشَدَّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[(١)].

- فالصبر سمة الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقد أثنى الله على أيوب عليه السلام لما ابتلي بالمرض فصبر: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ٤٤]، قال ابن القيّم: فأطلق عليه قوله ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ بكونه وجده صابرًا، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتُلي فإنّه بئس العبد[(٢)].

٩ - **العلم بأنّ الدنيا دار سفر للآخرة**، فليَهيء العبد زاده للرحيل المحتوم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: إذا ذكرتُ الموت هان عليّ كلّ أمر الدنيا؛ إنّما هو طعام دون طعام، وشراب دون شراب، وإنّما هي أيام قلائل[(٣)]، فما ثَمَّ هناك إلا فريقان ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٨).

(٢) عدة الصابرين، ص١٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٥).

إنمـا الدُّنيـا إلى الجنّـةِ والنـارُ طريقُ

والليالي متجرُ الإنسـانِ والأيام سوقُ

- ورَد عـن امـرأة من العابـدات في البصـرة أنها كانـت تصاب بالمصائـب فلا تجـزع، فذكروا لها ذلك، فقالـت: ما أُصاب بمصيبة فأذكرُ معها النار، إلا صارت في عيني أصغر من الذباب[1].

١٠ - **العلم بأن الدنيا دار الأكدار**، لم تُصف لأحدٍ من الخلق :-

على ذَا مضى النّاس اجتماعٌ وفرقةٌ

ومـيـتٌ ومـولـودٌ وبِـشْـرٌ وأحـزان

أيها المصاب :-

• **لم تَصْفُ الدنيا للأنبياء ولا للمرسلين، أتريدها أن تصفوَ لك؟!**

- رُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، وقاسـى الضرّ أيوب، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ[2]، وأنت على سُنّة الابتلاء سائر.

• **ولـم تَصْفُ الدنيا لخيار عبـاد الله الصالحين، أتريدها أن تصفوَ لك؟!.**

- صُلب ابن الزبير، وتسلّط الوشاة على عامر بن عبدالله، وجُلد

(١) تسلية أهل المصائب، ص٣٠.

(٢) الفوائد لابن القيّم، ٦٧.

الإمام أحمد، وطُرد الإمام البخاري، وابتُلي ابن الجوزي بفقد ولده، وسُجن شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم يحجّ صفي الدين الهندي لفقره، وأنت على سُنّة الابتلاء سائر.

• **دخل الحزن بيت النبوة، أتقوى على رده من دخول بيتك؟!**

- اتُهمت عائشة رضي الله عنها في عِرضها، فبكت أيامًا لا يرقأ لها دمع، ولم تكتحل بنوم، ثم تنزل براءتها في عشر آيات تتلى في مساجد المسلمين وبيوتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور، ١١].

- وهاجرت أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها من مكة إلى الحبشة مع زوجها (عبيدالله بن جحش) فرارًا بدينها تاركة الأهل والوطن، فلما استقرت في الحبشة، تنصّر زوجها وارتد عن دين الإسلام، فحزنت حزنًا شديدًا، تقول: فأتاني آتٍ في المنام يقول: (يا أم المؤمنين)، فكانت هذه الرؤيا بشرى من الله بأنها ستكون زوج نبينا ﷺ[1].

- كم في طيات المحن من منح، كم في البلايا من عطايا.

كم نعمةٍ مطويّةٍ لك
بين أنيابِ النوائبِ

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٧).

ومـــســـــرةٍ قـــــدْ أقـبـلـتْ
مِـنْ حيث تـرتـقـبُ الـمـصـائـبِ
ولِـــكـــلِ كـــــربٍ فـــرُجـــةٌ
ولِـــكـــلِ خـالـصـةٍ شـوائـبُ

١١ - العلـم بأنّ الأيام دُوَل : ليعلم المصاب أنّ الأيام لا تثبت على حـال، قال ابن تيميـة : العوارض والمحن هي كالحـرّ والبرد، فإذا علم العبد أنّه لا بُدّ منها، لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك، ولم يحزن[1].

فـلا حـــزنٌ يـــدوم ولا ســـرورُ
ولا عـسـرٌ عـلـيـك ولا رخـاءُ

- وليستحضر المصاب إذا اشتدّتْ عليه الأمور، وصعُبَ الحال، واختلطتْ الأوراق، وضاقتْ عليه الأرض بما رحبتْ قوله تعالى ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١] فالشدة بتراء(*) لا دوام لها وإن طالت.

- قال ابن الجوزي رحمه الله : اعلم أنّ الزمان لا يثبت على حال؛ كما قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران، ١٤٠] فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عزّ، وتارة ذلّ، وتارة يفرح الموالي، وتارة

---

(١) سبق تخريجه.

(*) البتر : القطع.

يشمت الأعادي... فالسعيد من لازم أصلاً واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإنّه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلى حملته.. ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه.. لأنّ جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة[1].

- **وإليك حادثتين سطرهما التاريخ يتضح بهما المقصود :-**

• **الأولى :** قصة وائل بن حُجر رضي الله عنه، كان أبوه من ملوك حِميَر، فلما أسلم، أقطعه النبي ﷺ أرضًا، قال وائل: (فأرسل الرسول ﷺ معي معاوية أن أعطها إياه، أو قال : أعلمها إياه، فقال لي معاوية : أردفني خلفك، فقلتُ : لا تكون من أردافِ الملوك، ثم قال معاوية : أعطني نعلَك، فقلتُ : انتعلْ ظلَّ الناقة، فلما استُخلفَ معاوية أتيتُه، فأقعدني معه على السرير، وذكّرني بالقصة، فوددتُ أنّي كنتُ حملته بين يديّ).

- ذكر هذه القصة الإمام أحمد في مسنده[2]، وفيها من العبرة والعظة: أنّ معاوية رضي الله عنه الفقير أصبح ملكًا من ملوك بني أمية.

• **والثانية :** ما حصل للبرامكة في عهد الدولة العباسية من عزّ إلى ذلّ، قال ابن خلكان : من أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها

---

(١) صيد الخاطر ص١٢٣.

(٢) برقم (٢٧٢٣٨).

ما ورد عن ابن عبدالرحمن الهاشمي، قال: دخلتُ على والدتي يوم عيد أضحى، فوجدتُ عندها امرأة في ثياب رثّة، فقالت لي والدتي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هذه أم جعفر البرمكي!، فقلت: يا أم جعفر، ما أعجب ما رأيتِ في هذه الحياة؟ قالت: لقد أتى علي يا بُني عيدٌ مثل هذا، وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وإنّي لأعدُّ ابني جعفر عاقًّا لي، ولقد أتى عليّ هذا العيد، وما مُناي إلا جلدا شاتين أفترشُ أحدهما، وألتحفُ بالآخر!، فدفعتُ إليها خمسمائة درهم، فكادت تموت فرحًا بها[1].

-ويذكر أنّ الوزير يحيى البرمكي قال له بعض بنيه وهم في السجن والقيود: يا أبتِ!، بعد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هذه الحال! فقال: يا بني، دعوة مظلوم سرت بليل ونحن عنها غافلون.

فيومٌ لنا ويومٌ علينا
ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَر

١٢ - العلم بأنّ المصاب ليس أول من أصيب بهذه المصيبة، «ففي كل واد بنو سعد»[2]، وهذا مما يهوِّن وقع المصيبة عليه، فالتأسي

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٣٤١).

(٢) قصة هذا المثل العربي: أنّ الأضبط بن قريع التميمي كان يرى من قومه -بني سعد- وهو سيدهم بغيًا عليه وتنقصًا له، فقال: ما في مجامعة هؤلاء خير، ففارقهم وسارَ بأهله حتى نزل بقومٍ آخرين، فإذا هم يفعلون بأشرافهم كما كان=

بمصائب الآخرين تخفيف وتسلية له.

- قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[الزخرف: ٣٩]، يقول الله للكفار: لن ينفعكم اشتراككم في العذاب، لأنَّ لكل واحد نصيبه الأوفر منه، أعلم الله أنّه منع التأسي لهم كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا، وذلك أنّ التأسي يستروحه أهل الدنيا فيقول: لي في البلاء والمصيبة أسوة فيُسكّن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء:

ولولا كثرةُ الباكينَ حَولي
على إِخوانِهم لقَتَلتُ نَفسي
وما يبكون مثل أخي ولكنِ
أُعزّي النفسَ عنهُ بالتأَسّي

فإذا كان في الآخرة لم ينفعهم التأسي شيئًا لشغلهم بالعذاب[1].

١٣ - **العلم بلطف الله سبحانه،** أن المصيبة لم تكن أعظم مما هي

=يفعل به قومه من التنقص له والبغي عليه، فارتحل عنهم وحلّ بآخرين، فإذا هم كذلك، ولعله حلّ بآخرين فوجدهم مثلهم، فلما رأى ذلك انصرف وقال: ما أرى الناس إلاّ قريبًا بعضهم من بعض، في كل واد بنو سعد، ورجع إلى قومه. فهذا المثل يدل على أنّ المنغصات في كل زمان ومكان، وأن الحياة لا تخلو من الكدر.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٥٠).

عليه : فمن فَقَدَ ولده فليحمد الله أن أبقى له أولاده الآخرين. ومن أصيب بمرض فليتذكر من هو أشدّ منه مرضًا.

- ففي قصة عروة بن الزبير رحمه الله مثلاً، وعبرة لمن اعتبر، فإنه لما قطعت قدمه أخذها بيده، وجعل يُقلّبها، ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بها إلى حرام ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضى الله، ثم أمر بها فغُسّلت وطُيّبت وكُفّنت في قبطية، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما رآه عيسى بن طلحة قال له: أما والله ما كُنّا نعدّك للصراع، قد أبقى الله أكثرك : عقلك، وسمعك، ولسانك، وبصرك، ويديك، وإحدى رجليك، فقال له: يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به[1].

- قال شريح رحمه الله: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني[2].

- وورد أن رجلاً جاء إلى يونس بن عبيد رحمه الله يشكو ضيق حاله، فقال له يونس : أيسرُّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟ قال الرجل : لا، قال : فبيديك مائة ألف؟، قال :لا، قال : فبقدميك

---

(١) عدة الصابرين، ص١٧٩.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ١٩٨).

مائـة ألف؟ قال الرجل: لا، فذكّرهُ بنعـم الله عليه، فقال يونس: أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة[1]؟!

١٤ - إن المصيبة قد تكون حائلة ومانعة للمُبتلى مِنَ الوقوع في المعاصي.

قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وهذا عام في الأمور كلها قد يكره المرء شيئًا، ويخفى عليه ما فيه من خير ومصلحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وكـــمْ لله مِـــنْ تـدبـيـرِ أمـــرٍ
طـوتُـه عـن الـمـشـاهـدةِ الـغـيـوبُ

- وإليـك مثال على ذلـك، ورد عن عثمان بن الهيثـم(*) أنه قال: كـان رجل مـن البصرة من بني سـعد قائداً من قواد عبيـد الله بن زياد فسـقط عن السـطح فانكسـرت رجلاه، فدخل عليه الإمام أبو قلابة يعـوده، فقال له: أرجـو أن تكون خيرة، فقال له: يـا أبا قلابة، وأي خيـر في كسـر رِجلَـيَّ جميعًا؟! فقال: ما سـتر الله عليـك أكثر، فلما كان بعد ثلاث، ورد عليه كتاب ابن زياد: أن يخرج فيقاتل الحسـين

---

(١) عدة الصابرين، ص٢٥٠.

(*) من شيوخ الإمام البخاري.

بن علي رضي الله عنه، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعًا حتى وافى الخبر بقتل الحسين، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة، لقد صدق، إنّه كان خيرًا لي[١].

ولو اطّلعتَ على الغيوبِ ولطفها

لعلمِت أنَّ الخيرَ فيمِا اختَارَ لك

١٥ - العلم بأنّ الجزع مصيبة، فلا يجمع المبتلى على نفسه مصيبتين.

فالنياحة والتسخط لا يردّان شيئًا من أقدار الله؛ لا يردّان ابنًا فقَدَه، ولا مالاً أضَاعَه، بل إنّه يأثم - إن لم يتب قبل الممات - قال ﷺ: «النَّائِحَةُ(*) إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيامةِ وعَلَيْها سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[٢]، فليتعزّ المصاب بالصبر، فالعاقبة الحسنى للصابرين.

- قال ابن الجوزي رحمه الله: البلايا ضيوف، فأحسن قِراها حتى تَرحل إلى بلادِ الجزاء مادِحة غير قادِحة[٣].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٣/ ٢٣٨.

(*) النياحة: هي رفع الصوت عند المصيبة وشق الجيب وغير ذلك، وهي من كبائر الذنوب.

(٢) رواه مسلم برقم (٩٣٤).

(٣) المدهش (١/ ٣٧٤).

١٦ - مما يهوّن المصيبة : أن ينشغل المصاب بعمل من الأعمال،

- قال ابن القيّم رحمه الله : الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا ، ليس لهم فرح ولا سرور، بخلاف أرباب النشاط والجدّ في العمل[١].

- فالانشغال بعمل أُخرويّ - كطلب العلم وحفظ القرآن الكريم، ونشر العلم، وتفريج الكربات[*] - أو بعملٍ مباح[٢]؛ يلهي القلب عن اشتغاله بالأمر الذي أقلقه، وربما نسي بسببٍ ذلك السبَبَ الذي أوجب له الهم والحزن، فتفرح نفسه ويزداد نشاطه، لذا على المصاب أن يبحث عن كل سبب يعينه على انشراح صدره وإبعاد الحزن عنه، ولو بوقتٍ يسيرٍ من سفر أو نزهة أو زيارة صديق من أهل الحكمة والرأي السديد يبث إليه شكواه فيجلي همّه، ويخفف حزنه.

ولابُـدّ مِـنْ شكوى إلى ذِي مـروءةٍ
يـواسـيـكَ أو يـسُـلـيـكَ أو يتوجعُ

- قال الزبير بن عدي رحمه الله : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج بن يوسف، فقال : اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرّ منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ[٣].

---

(١) روضة المحبين ص١٦٨.

(*) كم من أُناس غيّرت المحن حياتهم إلى ما هو خير لهم في آخرتهم.

(٢) يتحول العمل المباح إلى عبادة بالنية الطيبة، فإنّ العارفين بالله عاداتهم عبادات.

(٣) رواه البخاري برقم (٧٠٦٨).

١٧ - طي صفحات الماضي الحزين والذكريات المؤلمة، فإنها تجدد الحزن وتبعث في النفس الكآبة، وكما قيل: ملف الماضي عند العقلاء يُطوى ولا يُروى.

- فالحزن يُرخي القلب، وينُغصّ عيشَ العبد، وقد يُضعف سيره إلى الله، وقد كان ﷺ يكثر من هذا الدعاء «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ**»(١)، قال ابن القيّم رحمه الله: أربع تهدم الجسد: الهمّ والحزن والجوع والسهر(٢).

- ولم يأمر الله سبحانه بالحزن في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتب عليه جزاء ولا ثواباً، بل نهى عنه في غير موضع كقوله ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم! لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرّم، كما يحزن على المصائب، فيعقوب عليه السلام حزن على فراق ابنه يوسف عليه السلام ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف، آية: ٨٤]، والرسول ﷺ ذرفت عيناه لـمَّا مات ابنه إبراهيم، وقال ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا**

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٤١٢).

بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[١](*).

- وقد يقترن بالحزن ما يُثاب صاحبه عليه ويُحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحُزن، كالحزن على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حُبِّ الخير، وبُغض الشرِّ وتوابع ذلك، ولكنّ الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نُهي عنه، وإلاَّ كان حسبُ صاحبه رفعَ الإثم عنه من جهة الحزن[٢].

١٨ - مما يهوّن المصيبة: أن يلجأ المصاب إلى ربّه، رافعًا يديه بالدعاء، متذللاً، منكسر القلب، موقنًا بالإجابة، محسنًا الظن بربّه؛ مستحضرًا أنّه سبحانه سيجلو حزنه، ويكشف غمّه، ويفرج همّه ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]، قال ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»[٣]، قال ابن القيّم رحمه الله: إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه؛ فلا يكاد يُردُّ دعاؤه[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٠٣).

(*) هناك من يسجد عند وقوع المصيبة، فإذا قيل له مثلاً: مات ولدك، سجد لله، فهذا ليس له أصل في الشرع، وهو خلاف الفطرة، وإنما المندوب الفزع إلى الصلاة كما سبق بيانه.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٦)، طريق الهجرتين، ص٣٥٨

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٧٩).

(٤) الفوائد، ص٧٣.

- وقال ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى :أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي عَبْدِي مَا شَاءَ» [١]، في الحديث: ترغيبٌ من الله ﷻ لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها؛ فمن ظنّ به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضّلاته، ومن لم يكن في ظنّه هكذا، لم يكن الله تعالى له هكذا، وهذا هو معنى كونه سبحانه عند ظنّ عبده، فعلى العبد أن يكون حسن الظنّ بربه في جميع حالاته، ويستعين على تحصيل ذلك باستحضار ما ورد من الأدلة الدالة على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى [٢].

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، ما أُعطي عبدٌ مؤمنٌ شيئًا خيرًا من حسن الظنّ بالله، والله الذي لا إله غيره، لا يحسن عبدٌ بالله عز وجل الظنّ إلاَّ أعطاه الله ظنّه، ذلك بأنَّ الخير في يده [٣].

وإنّي لأرجو اللهَ حتى كأنّما
أرى بجميلِ الظنّ مَا اللهُ صانعُ

- وقال ابن رجب رحمه الله: المؤمن إذا استبطأ الفرَج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبَلك، ولو كان فيك خيرًا لأُجبت،

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥).
(٢) تحفة الذاكرين للشوكاني، ص١٤.
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص١٠.

وهذا اللوم أحبُّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهلٌ لما نزل به من البلاء، وأنه ليس بأهلٍ لإجابة الدعاء، فلذلك تسُرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله[١].

- فليثقّ المصاب بقدرة ربّه، وبسعة رحمته، وجود عطائه، وليجتهد في الدعاء.

وارفعْ يديّكَ إلى السّماءِ ففوقَها
ربٌّ إذا ناديتَه مَا ضيّعك

- قال ابن الجوزي رحمه الله في نصيحة للمبتلى: فإياك إياك أن تستطيل زمن البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنّك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء[٢].

- واعلم - أيها المبتلى - أنّ الدعاء عبادة كما قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»[٣]، وانتظار الفرَج عبادة أخرى، فكما يُثاب المصلي على صلاته، والصائم على صيامه، فكذلك الداعي يُثاب على دعائه، فليُلحّ في الدعاء، قال ابن رجب رحمه الله: وما دام العبد يلحّ في الدعاء

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٤).
(٢) صيد الخاطر ص ٤٣٩.
(٣) رواه أبو داود برقم (١٤٧٩)، أي: لبُّها وروحها.

ويطمع في الإجابة من غير قطع، فهو قريب من الإجابة، ومن أدمنَ قرع الباب يوشك أن يُفتح له[١].

- كم تغيّرت أحوال الناس بسبب دعاء ربهم؛ كم من شقي أسعده! كم من حزين أفرحه! كم من ضالٍ هداه! كم من فقير أغناه! كم من مريض شفاه! كم محروم ذرية رزَقَه! كم من مظلوم نصره! فتبارك من هو على كل شيء قدير.

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه
يكون وراءَه فَرَجٌ قريبُ

- والله سبحانه يتفضل على عباده بالعطايا الجزال آناء الليل وأطراف النهار.

قال ابن القيّم رحمه الله في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]، يغفر ذنبًا، ويُفرّج كربًا، ويكشف غمًّا، وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالمًا، ويفكُّ عانيًا، ويُغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفي مريضًا، ويُقيل عثرة، ويستُر عورة، ويُعزُّ ذليلاً، ويُذلُّ عزيزًا، ويُعطي سائلاً، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٤).
(٢) طريق الهجرتين، ص٢٦٣.

- ولن يغلب عسرٌ يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، فمتى صاحَبَ قلب المصاب هذا الظنّ الحسَنَ بالله، أتاه الخير من حيث لا يدري، وكشف الله همّه.

رضيتُ بما قسمَ الله لي
وفوَّضتُ أمري إلى خالقِي
فقد أحسنَ اللهُ فيما مضَى
ويحُسنْ إن شاءَ فيما بقِي

١٩ - ممّا يُطيّب قلوب أهل المصائب على ميّتهم: - مشروعية الدعاء وإهداءه القُرب، ووصول ثوابها له، قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[(١)].

- وفي الحديث عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنّه قال: يا رسول الله، إنّ أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «**نعم**» قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**سقيُ الماء**»[(٢)].

- وورد في الحديث أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ أمّي ماتت ولم تحج، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حُجّي عنها**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٤٨).
(٢) رواه أبو داود برقم (١٦٨٠)، وابن ماجه برقم (٣٦٨٤).
(٣) رواه الترمذي برقم (٩٢٩).

- قال ابن القيّم رحمه الله: **وعذاب القبر قد ينقطع عن المؤمن العاصي إن كان يُعذب؛ بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج**[(١)(٢)]، فالحمد لله على جزيل فضله وإحسانه.

(١) كتاب الروح (١/ ٢٧٠).

(٢) وهناك أعمال صالحة يصل ثوابها للميت كالعمرة والأضحية والوقف كبناء مسجد أو مدرسة تحفيظ للقرآن الكريم أو لتعليم العلم الشرعي، أو دار لسكنى الفقراء، أو كفالة معلم قرآن، أو كفالة يتيم، أو نشر الكتب النافعة أو ما شابه ذلك.

ثمرات الصبر

من فضل الله سبحانه أن جعل للصبر ثمرات جليلة، منها :-

١ - إنَّ المصائب التي تُكفّر الذنوب ويُؤجر عليها العبد لا يلزم أن تكون على أمور عِظَام، فقد قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، إِلَّا حَاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ**»(١).

- وقال ﷺ : «**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ**»(٢)، والنَّصب : التَّعب، والوَصب: المرض .

- قال ابن حجر رحمه الله : هذا الحديث بشارة عظيمة لكل مؤمن؛ لأنّ الآدمي لا ينفك غالبًا من ألم بسبب مرض أو همّ أو نحو ذلك، وأنّ الأمراض والأوجاع - بدنيّة كانت أو قلبيّة - تكفِّر ذنوب مَنْ تقع له(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٤٧)، ومسلم برقم (٢٥٧١).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٤١).

(٣) فتح الباري ١٠/ ١٠٨.

- قال أبو بكر رضي الله عنه إنّ المرء المسلم يمشي في الناس وما عليه خطيئة، قيل: ولِمَ ذاك؟ قال: بالمصائب، والحجر، والشوكة، والشسع ينقطع[١].

- وقال الحرّاني: يكفّر عنه بالشوكة يشاكها، حتى بالقلم الذي يسقط من الكاتب، فيكفّر عن المؤمن بكل ما يلحقه في دنياه وآخرته، حتى يموت على طهارة من دنسه، وفراغ من جناياته، كالذي يتعاهد ثوبه وبدنه بالتنظيف[٢].

- وقال ابن عبد البر رحمه الله: الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض، وهذا أمر مُجمعٌ عليه[٣].

- **من المصائب الدنيوية التي تكفّر الذنوب: المرض**: وكلما اشتد المرضُ كان أذهب لها، قال ﷺ عن الحُمى: «**فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»[٤].

- قال قيس بن عبَّاد: ساعات الوجع يُذهبن ساعات الخطايا[٥]، وقال الحسن: كانوا يرجون - أي السلف - في حُمّى ليلة كفارة ما مضى

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ١٩٦.
(٢) فيض القدير للمناوي (١/ ٣٢٦).
(٣) التمهيد ٢٦/ ٢٣.
(٤) رواه مسلم برقم (٢٥٧٥).
(٥) الزهد لهناد بن السري (١/ ٢٤٢)

من الذنوب، وإذا برئ أحدهم من مرضه، قالوا له: ليهنك الطهر؛ يعني: الخلاص من الذنوب[١]، وقد كان ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شاءَ الله» أي: هذا طهور لك من ذنوبك[٢].

- ويُذكر أنّ إحدى نساء السلف لمّا جرحت يدها جرحًا شديدًا، فلم يظهر عليها التأثر، فقيل لها في ذلك، قالت: حلاوة أجرها؛ أنستني مرارة ذكرها[٣]، وقال الجنيد: في الأمراض والأوجاع خصال أربع: تطهير وتكفير وتذكير وتقييد؛ تطهير عن الكبائر، وتكفير للصغائر، وتذكير للرب، وتقييد عن المعاصي[٤].

٢- إنَّ في احتساب المصائب أجرًا جزيلاً: قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: إذا أُصبتَ بمصيبة فلا تظنّ أن هذا الهمّ الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك- ولو كان شوكة- لا تظنّ أنّه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيرًا منه، ستحطّ عنك الذنوب، كما تحطّ الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله، وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر (الاحتساب): أي احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر، فالمصائب تكون على وجهين:

---

(١) تسلية أهل المصائب، ص٣٠.
(٢) رواه البخاري برقم (٣٦١٦).
(٣) عدة الصابرين (٢/ ٥٧٣).
(٤) شعب الإيمان (٧/ ٢٢٧).

أ- تارة إذا أصيب الإنسان تذكَّر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب، وزيادة الحسنات.

ب- وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر وما شابه ذلك ويغفل عن نية الاحتساب والأجر على الله، فيكون في ذلك تكفيرًا لسيئاته، إذًا هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه؛ فإمّا أن يربح تكفير السيئات وحطّ الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينوِ شيئًا ولم يصبر ولم يحتسب الأجر، وإمّا أن يربح شيئين: تكفير للسيئات، وحصول الثواب من الله كما تقدم، **ولهذا ينبغي للإنسان إذا أُصيب - ولو بشوكة - فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها مع تكفيرها للذنوب**، وهذا من نعمة الله سبحانه وجوده وكرمه؛ حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى، أو يكفر عنه سيئاته، فالحمد لله رب العالمين[1].

٣ - إنَّ البلايا والمصائب التي تكفر الذنوب لا تقتصر على صاحب البلاء فحسب، فقد قال ﷺ: «**لا يَزَالُ البَلاءُ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ وولَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ**»[2].

- معنى الحديث: أي أنّ المؤمن يرِد عليه من الواردات ما يؤلمه ويُنغص عليه عيشته من المصائب الحسية أو المعنوية؛ في

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٢٤٤).
(٢) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٩).

النفس من الهموم والأحزان والأمراض وغيرها، وفي الولد كفقده أو مرضه أو ضلاله أو عقوقه، وفي المال بضياع أو سرقة أو خسارة أو غير ذلك.

- **ومن المصائب في النفس : فوات الأرزاق** : فإذا فات على العبد رزق من مال أو زوج أو ولد أو غير ذلك، فعليه أن لا يتحسر على رزقٍ تشوفت له نفسه، وطمعت فيه، فصُرف عنه، فرزق الله لا يجُرُّه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

وما يكُ من رزقي فليسَ يفوتني
وَلَو كَانَ في قَاعِ البِحَارِ العَوامِقِ
سيأتي بهِ اللهُ العظيمُ بفضلهِ
ولو لم يكن مني اللسانُ بناطقِ
ففي أي شيءٍ تذهبُ النفسُ حسرةً
وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلاَئِقِ

- فما قُدِّر للعبد سيصله، وما لم يُقدّر له فلا تذهب نفسُه عليه حسرات ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣].

فكم استشرف العبد مطلبًا من مطالب الدنيا وسعى لتحصيله فصُرف عنه رحمةً به؛ لئلا يضره في دينه أو دنياه، قال تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]

- قال ابن القيّم رحمه الله: وإذا سَدّ عليك بحكمته سبحانه طريقًا من طرقه؛ فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه[١].

- **ومن المصائب في النفس أيضًا: استطالة الناس**، وكثرة القيل والقال، وقد بوّب البخاري في صحيحه: (باب الصبر في الأذى) وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ثم أورد حديث: أنّ رسول الله ﷺ قَسَم قِسمة كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار: والله إنّها لقسمة ما أُريد بها وجه الله! فلمّا أُخبر النبي ﷺ بقوله قال: «**يَرْحَمُ اللهَ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[٢].

- قال ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث: (باب الصبر في الأذى) أي: حبس النفس عن المجازاة على الأذى قولاً أو فعلاً، وقد جبل الله الأنفسَ على التألم بما يُفعل فيها، ويُقال فيها، ولهذا شقَّ على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجَور في القِسمة، لكنّه حَلِم عن القائل فصبر؛ لما عَلِمَ من جزيل ثواب الصابرين، وأنّ الله يأجره بغير حساب، **والصابر أعظم أجرًا من المُنفِق**؛ لأنّ حسنته مضاعفة إلى سبعمائة، والحسنة في الأصل بعشر أمثالها إلّا من شاء الله أن يزيده[٣].

---

(١) الفوائد، ص٨٧.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٠٥).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥١١).

- وقد وعد الله سبحانه بالجزاء العظيم لمن صبر على أذى الناس وعفا، في قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، قال ابن تيمية رحمه الله: وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله لمّا ظُلم في محنته المشهورة أنّه لم يخرج حتى حلّل من ظَلَمه، وقال: ذكرتُ عن الحسن أنه قال: إذا كان يوم القيامة ناد مناد: ألا ليقم من وجب أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح(١)(*).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠/ ٦٢).

(*) وقد أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]، أي وما يقبل بهذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشقّ على النفوس، وما يُلقّاها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

- وقد عمل السلف بهذه الوصية العظيمة، فيذكر أن رجلاً شتم ابن عباس رضي الله عنهما، فلما قضى قال ابن عباس: يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.

- ولما أُخرج التابعي عامر بن عبدالله رحمه الله من البصرة، اجتمع له ناس كثير يتبعونه، فقال لهم: إني داعٍ فأمنوا، فاشرأبت إليه الأعناق، وسكنت الجوارح، وقالوا: هات، فقد كنا ننتظرها منك، فقال: اللهم مَنْ وشى بي، وكذب عليّ، وكان سببًا في إخراجي من بلدي، والتفريق بيني وبين إخواني، اللهم أكثر ماله وولده، وأصحّ جسمه، وأطل عُمُرَهُ، ولما استطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال له رجل: مه، قال أبو معاوية: دعه يستشفي ثم قال: اللهم اغفر الذنب الذي سلطت عليّ به، وقال رجل للفضيل: إنّ فلانًا يغتابني، قال: لقد جلب لك الخير جلبًا (حلية الأولياء (١/ ١٠٨).

ومما ينبه إليه في هذا المقام: أنه لا يجوز هجر المسلمين لأمور دنيوية=

- فكل ما سبق ذكره من المنغصات في النفس أو الولد أو المال تحطُّ ذنوب العبد حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، - كما في الحديث السابق - ولربما وصل عمره إلى التسعين عامًا وكأنّه في عمر الرضيع الذي لم يقترف ذنبًا.. قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة مفاليس[1]، فما أعظم فضل الله وكرمه!

٤- **نيل الأجر بغير حساب**، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر كالماء المنهمر، وقال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، وإنّما يُغرف لهم غرفًا[2].

=أكثر من ثلاث ليالٍ، كما قال ﷺ: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» (رواه البخاري برقم (٦٠٧٧)، قال النووي: قال العلماء: تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص، وتباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب فسمح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض).

وقوله ﷺ: «خَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» قال ابن حجر: زاد الطبري من طريق أخرى عن الزهري (يسبق إلى الجنة) ولأبي داود بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**فإن مرّت ثلاث فلقيه فليسلم عليه، فإن رد عليه فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة**» (فتح الباري (١٠/ ٤٩٢).

(١) شعب الإيمان (٧/ ٢٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٨).

- فمن فضل الله سبحانه أنّ الصابرين يُعْطَون ثوابهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ذلك أنّ الأعمال الصالحة مضاعفة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أمّا الصبر فإنّ مضاعفته تأتي بغير حساب من عند الله، وهذا يدل على أنّ أجره عظيم[١].

٥ - فتح أبواب من العبادات للمؤمن الصابر كالدعاء والإخلاص والتوبة والإنابة والصدقة: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، وقد يبتلي الله العبد ببلاء ليُكثر من الدعاء، الذي هو عمل صالح، وعبادة تُقرّبه إلى الله، وتزيده أجرًا، والله يبتلي عباده بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به، وهذه من النعم التي في طي البلاء، فسبحان من أخرج الدعاء بالبلاء.

- قال ابن عيينة رحمه الله: ما يكره العبد خيرٌ له مما يُحب، لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه[٢].

- ومما يُروى في هذا: أنّ أحد السلف لما برئ من مرضه، جاء الناس يهنئونه، فلما فرغوا من كلامهم، قال الفضل بن سهل: إنّ في العلل لنعمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها: تمحيص للذنب، وتعرّض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة،

---

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين (١/ ١٧٩).
(٢) شعب الإيمان (٧/ ٢١١).

واستدعاء للمثوبة، وحضّ على الصدقة[١].

وقد ذم الله أقوامًا لم يتضرعوا الله في حال البلاء ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

٦ - المصائب دواء لمرض الكِبْرِ وقسوة القلب، قال ابن القيّم رحمه الله: لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكِبْرِ والعُجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حميةً له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته.. فلولا أنّه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبده خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله؛ يستفرغ به من الأدواء المهلكة **حتى إذا هذّبه ونقّاه وصفّاه؛ أهّلَه لأشرف مراتب الدنيا؛ وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة؛ وهو رؤيته وقربه**[٢].

٧ - إنَّ البلاء قد يكون علامة على محبة الله لعبده، فقد قال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٣].

---

(١) الفرج بعد الشدة لابن الجوزي، ص٥٦.

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٥).

(٣) رواه الترمذي، برقم (٢٣٩٨).

- قوله ﷺ (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ) يعني أنّه كلما عَظُم البلاءُ؛ عَظُمَ الجزاء، فالبلاء السهل له أجر يسير، والبلاء الشدّيد له أجر كبير، لأنّ الله ذو فضل على الناس؛ إذا ابتلاهم بالشدائد أعطاهم عليها من الأجر الكبير، وإذا هانت المصائب هان الأجر.

وقوله ﷺ: (وإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ) وهذه أيضاً بشرى للمؤمن إذا أُبتُلي بالمصيبة فلا يظنّ أنّ الله سبحانه يُبغضه، بل قد يكون هذا من علامة محبة الله له، (فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ) إذا رضي الإنسان وصبر واحتسب، فله الرضا، وإذا سخط له السّخط، وفي هذا حث على أن الإنسان يصبر على المصائب حتى يُكتب له الرضا من الله ﷻ [١].

٨ - الصابر على الضرّاء على خيرٍ عظيم؛ قال ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ» [٢].

- في هذا الحديث حثّ على الصبر على الضراء، وأنّ ذلك من خصال المؤمنين، فإذا رأيت نفسك عند إصابة الضراء صابرًا محتسبًا، تنتظر الفرج من الله سبحانه، وتحتسب الأجر على الله؛ فذلك عنوان الإيمان، وإن رأيت العكس فَلُمْ نفسك، وعدِّل مسيرك، وتُب إلى

---

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين ١/ ٢٥٩.
(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٩٩).

الله[١]، قال ﷺ: « وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا »[٢].

٩ - نيل الصابر حلاوة الإيمان ولذّته، قال ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضي بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»[٣].

ومن الرّضا بالله ربًّا: الرّضا بتدبيره لعبده، والرّضا بما يقدّره عليه.

- قال ابن القيّم رحمه الله: فمن رضي بالله ربًّا، رضيهُ الله له عبدًا[٤].

١٠ - إنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾، وجعله قرين التقوى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾، وجعله قرين الشكر: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، وجعله قرين الصدق: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾.

١١ - إنّ الله جمع أمورًا للصابرين لم يجمعها لغيرهم ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥- ١٥٧]، فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

فقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: أنّ الله

---

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين (١/ ١٩٩).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٨٠٤).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٦٢٣).

(٤) تهذيب مدارج السالكين، ص ٣٧٠.

يُثني على الصابرين في الملأ الأعلى رفعًا لذكرهم وإعلاءً لشأنهم، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: أنّ الله يُنزّل عليهم الرحمات ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ أي: الذين اهتدوا إلى ما فيه رضا الله وثوابه.

- قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تُقابل به إذا وقعت وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابرين من أجر[١].

١٢ - إنّ الصبر سبب لهداية القلوب والعِوض الحَسَن من الله، قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] أي: أنَّ من أصابته مصيبة فعلِمَ أنها بقضاء الله وقدره فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله؛ هدى الله قلبه، وعوّضه عما فاته من الدنيا؛ هُدًى في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه[٢].

قرأ عكرمة (يَهْدَأْ قَلْبُهُ) بهمزةٍ ساكنةٍ ورفع الباء: أي يسكن ويطمئن[٣].

١٣ - معيَّة الله للصابرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وهذا

---

(١) تفسير السعدي، ص٧٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٧٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢١/ ١٧).

دليل على أنَّ الله يعين الصابر ويؤيده ويكلؤه حتى يتم له الصبر على ما يحبه الله[١].

١٤- محاسبة النفس والرجوع بها إلى فيء الطاعة، فكم من غافل رجع إلى ربّه عندما أصيب بمرض، وكم من لاهٍ أقبل على مولاه عندما أصيب بفقد عزيز، قال الفضيل رحمه الله: إنما جُعِلت العلل ليؤدِّب الله عباده[٢].

- قال ابن القيّم رحمه الله: إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن؛ فإنْ ردَّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت، فتُقلع عنه حين تُقلع، وقد عُوِّض منها أجلّ عوض وأفضله؛ وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردًا عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضًا، وللوقوف على أبواب غيره متعرضًا، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة، وإن ساءَته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببًا ما مثله سبب، وقوله تعالى في ذلك هو الشفاءُ والعصمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦][٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين (١/ ١٩٩).
(٢) حلية الأولياء (١٠/ ١٠٨).
(٣) طريق الهجرتين، ص٢٠.

١٥ - إنّ الصابر لا يغفل عن تعداد النعم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤]، قال بعض السلف: ذِكْرُ النعم يورث الحب لله[(١)]، ومما يروى في هذا المقام، أنّ رجلاً فقيرًا، مريضًا كفيفًا مقعدًا، كان يردد: الحمد لله الذي فضلني على كثير من عباده، فقيل له: يرحمك الله: وبماذا فضلك؟ قال: رزقني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وجسدًا على البلاء صابرًا.

أيها المصاب:

- لا تكن ممَّن قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾[العاديات: ٦]، فالكنود: هو الذي يعدُّ المصائب، وينسى النّعم[(٢)]، فإنك إن عددت نعم الله عليك؛ أقبلت عليك الأفراح من كل جانب، وإن عددت مصائبك أحاطت بك الأحزان من كل جانب، وعجلة الحياة تسير فرحت أم حزنت، ضحكت أم بكيت، فلا تُشقي نفسك بالهموم والأحزان، وتعزّ بالصبر فهو خيرٌ لك، ولو عددتَ نِعَم الله عليك، وعددتَ المصائب التي حلّت بك، لوجدت أنّ النعم أكثر من المصائب ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[إبراهيم:٣٤] فالحمد لله أولاً وآخرًا.

١٦ - إنَّ النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، كما قال ﷺ، ويشمل النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو

---

(١) عدة الصابرين، ص٢٤٣.

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٥١٨).

الباطـن، فمن صـبر فيهما : نُصِرَ، وظفر بعـدوّه، ومن لم يصبر فيهما جزع وقُهِرَ، وصار أسيرًا لعدوه أو قتيلاً له.

- ومن لطائف أسـرار اقتران الفرج بالكرب واليُسـر بالعسر : أنّ الكـرب إذا اشـتدَّ وعَظُمَ وتناهـى، حصَل للعبد الإياس من كشـفه من جهـة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلب بها الحوائج، فإنّ الله يكفي من توكل عليه؛ كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣](١).

- وفـرجُ الله يـأتي في الوقـت الذي أراده سـبحانه كمـا قال: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطـلاق:٣] أي : جعـل لـكل شـيء مـن الشدّة والرخاء أجلاً ينتهي إليه(٢).

اصـبـرْ قليلاً فبعدَ الـعُسـرِ تيسيرُ
وكـــلّ أمـــرٍ لـــهُ وقـــتٌ وتـدبـيـرُ
ولـلـمُـهـيـمـنِ في حـالاتِـنـا نـظَـر
وفـــوق تـدبـيـرنـا لله تـقـديـــرُ

١٧ - إنّ الصبر سـبب في لقيا النبـي ﷺ على الحوض، قال ﷺ: «**اصْبِـرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَـى الْحَوْضِ**»(٣)، ففـي الحديث حثٌّ على

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٣).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٥٨).
(٣) سبق تخريجه.

الصبر، وأنّ الصابرين على الأوامر واجتناب النواهي، والصابرين على الأقدار، ينالون الجزاء العظيم؛ وهو الورود إلى حوض النبي ﷺ (الكوثر)؛ ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، وآنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا.

١٨ - إنّ الصبر سببٌ في دخول الجنة، قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان:٧٥]، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣- ٢٤]، وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة بالصبر: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، صبروا على ما أُمروا به، وصبروا عما نُهوا عنه، وصبروا على أقدار الله.

وموت الأحبة: خطب مؤلم، شديد على النفس، لكن مما يُطمئن القلب ما جاء من وعد الله للصابرين بدخول الجنة، من ذلك قوله ﷺ: «**يقولُ اللهُ تعالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ**»[(١)].

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٢٤).

- قولـه ﷺ : (صَفِيَّهُ) الصَّفي : من يصطفيه الإنسـان ويختاره، ويرى أنّه ذو صلةٍ منه قوية من ولد أو أخ أو عمّ أو أب أو صديق، إذا توفاه الله ثم احتسبه الإنسان فليس له جزاء إلا الجنة.

وهذا الحديث دليل على فضل الله وكرمه على عباده، فإن المَلِكَ مُلكُه، والأمـر أمرُه، وأنتَ وصفيُّك كلاكمـا لله عز وجل، ومع ذلك فإذا قبض الله صفيّ الإنسان واحتسب؛ فإنّ له هذا الجزاء العظيم[1].

اصـبـرْ لـكـلِ مـصيبـةٍ وتـجَـلَّـدِ
واعـلـمْ بـأنَّ الـمـرءَ غـيـرُ مُـخَـلَّـدِ
أو مـا تَـرى أنَّ الـمـصائـبَ جمّةٌ
وتـرَى الـمـنـيـةَ لـلـعبـادِ بـمَـرْصَـدِ
مَـنْ لم يُصَبْ ممَّن ترى بِمُصيبةٍ؟
هـذا سـبـيـلٌ لـسـتَ فِـيـهِ بـأوْحَـدِ
وإذا أتـتـكَ مصيبةٌ تـشْـجَـى بها
فـاذْكُـرْ مُـصَـابَـكَ بالنبي محمَّدِ

- وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ وقالت: إني أُصرع وإني أتكشـف، فادع الله لي، قال: « إِنْ شِـئْتِ صبرْتِ ولكِ

(١) (شرح رياض الصالحين) للشيخ محمد بن عثيمين (١/ ٢٣٠).

الْجنّةُ، وإِنْ شِئْتِ دعوْتُ اللّـه أنْ يُعافِيكِ » ، قالت: أصبرُ، ثم قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[١].

- وفي الحديث القدسي: « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بحبيبتَيْهِ فَصبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجنَّةَ»[٢]؛ بحبيبتيه: أي عيناه.

- قال ابن القيّم رحمه الله: من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره[٣].

١٩ - إنّ الصبر على البلاء سبب لرفع المنزلة في الجنة، فقد قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبَلِّغَهُ مَنْزِلَتَهُ الَّتِي سَبقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى»[٤].

- قوله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ» أي: في علم الله أو في قضائه وقدره، (مَنْزِلَةٌ) أي: مرتبة عالية في الجنّة، «لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ» أي: لعجزه عن العمل الموصل إليها، «ابْتَلاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ» أي: حتى يوصله للمرتبة العليا، «الَّتِي سَبقَتْ لَهُ» أي: إرادتها «مِنَ اللهِ تَعَالَى»[٥].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٥٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أبو داود برقم (٣٠٩٠).

(٥) (مرقاة المفاتيح) للقاري (٣/ ١١٤٣).

- قال الطِيبي رحمه الله : في الحديث إشعارٌ بأنّ للبلاء خاصية في نيل الثواب ليس للطاعة.

• أيها المبتلى :

- ليس في الجنة حزن ولا كدر، ولا تعب ولا ضجر، راحة أبدية وسعادة سرمدية، فاعمل واجتهد، واصبر واحتسب، لِتَكُون في زمرة مَنْ يقول غدًا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥].

ختامًا :

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يوفقك لطاعته، وأن يجنبك معصيته، وأن يجعل ما أصابك من البلاء رفعة لدرجاتك، وتكفيرًا لسيئاتك، وزيادة في حسناتك، وأن يربط على قلبك، وأن ينزل عليك الرضا بقضاء الله وقدره، وأن يُذيقك لذة حلاوته.

كما أسأله سبحانه أنّ نكون جميعًا ممّن إذا أُعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، وإذا اُبتُلي صبر.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تمّ الكتاب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المراجع

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية – اعتنى به محمد عبدالله – دار ابن الهيثم – القاهرة.
- تحفة الذاكرين – محمد بن علي الشوكاني – المكتبة العصرية – بيروت – ١٤٢٦هـ.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة – للإمام أبي عبدالرحمن القرطبي – دار الفكر – بيروت.
- تسلية أهل المصائب – للإمام محمد المنبجي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٢٦هـ.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) – للإمام أبي محمد الحسين البغوي – تحقيق خالد العك ومروان سوار – دار المعرفة – بيروت– الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ.
- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن كثير – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٣هـ.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد –صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ – دار التوحيد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ.

- تهذيب مدارج السالكين – كتبه ابن القيم الجوزية – هذّبه عبدالمنعم العزى – دول الإمارات العربية – وزارة العدل.
- جامع العلوم والحكم – للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن رجب – تحقيق شعيب الأرناؤط وإبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٢هـ.
- جامع بيان العلم وفضله – للإمام ابن عمر يوسف ابن عبد البر – قدّم له عبدالكريم الخطيب – دار الكتب الإسلامية – مصر – الطبعة الثانية – ١٤٠٢هـ.
- الجواب الكافي – للإمام أبي محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – للحافظ أبي نعيم أحمد الاصبهاني – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الخامسة – ١٤٠٧ هـ.
- دليل الفالحين – محمد بن علان الصديقي – المكتبة العلمية – بيروت – ١٤٠٢ هـ.
- روضة المحبين – لأبي عبدالله محمد بن القيّم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد – لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة عشر – ١٤٠٦ هـ.
- السلسلة الصحيحة–الشيخ ناصر الدين الألباني–المكتبة الإسلامية–بيروت – الطبعة الأولى – ١٣٩٩ هـ.

- سنن أبي داوود – للحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث – تعليق عزت الدعاس – توزيع محمد علي السيد –حمص – الطبعة الأولى – ١٣٨٩ هـ.
- سنن الترمذي– لأبي عيسى محمد بن سورة – دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق إبراهيم عطوة.
- سير أعلام النبلاء – للإمام شمس الدين محمد الذهبي – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٢١هـ.
- شرح رياض الصالحين – محمد بن صالح بن عثيمين – دار الوطن للنشر – الرياض – ١٤٢٥هـ.
- شعب الإيمان – للإمام أبي بكر أحمد البيهقي – تحقيق أبي هاجر محمد زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية – تحقيق عمر الحضيان – مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ.
- صحيح مسلم – للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج – ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي – المكتبة الإسلامية – استانبول – تركيا.
- صفة الصفوة – للإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي – تحقيق محمود فاخوري – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٥هـ.
- صيد الخاطر – للإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي – تحقيق ناجي الطنطاوي – دار المنارة للنشر – جدة – الطبعة الخامسة – ١٤٢٠ هـ.
- طبقات ابن سعد – محمد بن سعد البصري – تحقيق إحسان عباس – دار صادر – الطبعة الأولى.

- طريق الهجرتين – لأبي عبدالله محمد ابن القيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت.
- عدة الصابرين –للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية– المكتبة القيمة–مصر–الطبعة الثانية–١٤٠١هـ.
- فتاوى العقيدة – الشيخ محمد بن عثيمين – مكتبة السنة – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ
- الفوائد الفقهية – (ضمن مجموع المؤلفات) الشيخ عبدالرحمن السعدي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبدالرؤوف المناوي – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٣٩١هـ.
- كتاب الروح – لأبي عبدالله محمد ابن القيم الجوزية – تحقيق بسام العموش – دار الفضيلة – الطبعة الأولى – ١٤٣٢هـ.
- كتاب الفوائد – للإمام محمد بن القيّم الجوزية – تحقيق محمد عثمان الخشت – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة السادسة – ١٤١٨هـ.
- لسان العرب – لأبي الفضل جمال الدين بن منظور – دار صادر – بيروت.
- مجموع فتاوى ابن تيمية – شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد – مجمع الملك فهد بالمدينة – ١٤١٦ هـ.
- مختصر منهاج القاصدين – أحمد بن قدامة المقدسي – علّق عليه شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط – مكتبة البيان – ١٣٩٨هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
- إضاءة.	٥
- إهداء.	٧
- المقدمة.	٩
- وللكتاب حكاية.	١١
- معنى الصبر وبيان مكانته وأنواعه :	١٣
- **أنواع الصبر :**	١٧
أولاً : الصبر على طاعة الله.	١٧
ثانيًا : الصبر عن المعصية.	٢٥
ثالثًا : الصبر على الأقدار.	٣٣
- **ما جاء في المصيبة:**	٣٧
١- تعريف المصيبة	٣٧
٢- كتمان العبد للمصيبة.	٣٨
٣- حكم البكاء والحزن عند المصية.	٣٩
٤- حكم أنين العبد عند المصيبة.	٣٩
٥- أنواع الصبر على المصائب	٣٩
- ما يفعله المصاب عند وقوع المصيبة.	٤١
- ما يُهوِّن المصائب.	٥١
- ثمرات الصبر.	٧٩
- المراجع.	٩٩

إصدارات المؤلفة

- شرح الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب- مراجعة وتقديم أ.د.الشيخ ناصربن عبدالكريم العقل- الرياض - الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ .
- تيسير التّوحيد - مراجعة وتقديم فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين -رَحِمَهُ اللَّهُ- الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٤١هـ.
- شرح أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون التى جمعها فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه القواعد المثلى - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ .
- شرح مراتب الدين - مراجعة وتقديم فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين -رَحِمَهُ اللَّهُ- الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٤٠هـ.
- شرح الباقيات الصالحات - مراجعة وتقديم أ.د.الشيخ ناصربن عبدالكريم العقل - الرياض - الطبعة الاولى ١٤٣٦هـ .
- شرح أذكار الصباح والمساء من كتاب حصن المسلم - مراجعة وتقديم الشيخ د.سعيد بن علي وهف القحطاني-رَحِمَهُ اللَّهُ- الرياض- الطبعة الثالثة ١٤٤٠هـ.
- قواعد ومسائل في طهارة المرأة المسلمة - مراجعة الشيخ الدكتور عبدالله بن ناصر السُلمي - الرياض - الطبعة الخامسة ١٤٤٠هـ .
- لا تحزن والله ربك - الرياض - الطبعة الاولى ١٤٣٦هـ .
- شرح مكفرات الذنوب لشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- الرياض- الطبعة الثانية ١٤٤٠هـ
- صالحات عرفتهن، سير صالحات معاصرات - الرياض- الطبعة الثالثة ١٤٤١هـ .
- الدعوة إلى الله في المجتمع النسائي- مراجعة وتقديم أ.د.الشيخ ناصربن عبدالكريم العقل -الرياض - الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ .
- وبشر الصابرين - الرياض- الطبعة الأولى ١٤٤١هـ.
- الدعاء عُدة المؤمن - الرياض- الطبعة الأولى ١٤٤١هـ.